الفصل الاول

الماسات المسروقة

لم يكن ارسين لوبين هازلا حين قال انه سيعوض نفسه عن صفقة سندات ديون الحرب التى لم يشأ ان يمسها فقد كان في ذهنه مشروع معين يدرسه ويتدبره ..

وفي ذات صباح جلس يتحدث الى صديقته باتريشيا هولم ويشرح لها ما يجول فى خاطره ولكنه كان يتكلم فى عبارات مقتضبة موجزة لانه يتحدث بالاحاجي والألغاز ..

وحدجته باتريشيا بنظرة فاحصة وقالت :

ـ هل انت اليوم معتوه يالوبين ؟ ..

فابتسم لوبين وقال :

ـ أظنني معتوها ..

والواقع ان لوبين يمكن ان يعد مجنونا اذا نحن نظرنا الى جرأته وجسارته واقدامه الذى لا حد له وقذفه بنفسه فى أعقد المغامرات . ولكنه يعد عاقلا اذا نظرنا الى فلسفته ونظرياته التى تدفعه الى هذه المغامرات ..

ولم يعبأ لوبين باعتراض باتريشيا وانما قال :

ـ بصرف النظر عن كونى مجنونا أو غير مجنون الا انى اعتقد ان الوقت قد حان لكى يشترك ايزادور في زيادة رصيد حسابى بالبنك .. ان الواجب الوطنى يقضي على ايزادور بان يساهم في هذا العمل بجزء من امواله ..

فقالت باتريشيا ..

ـ الا تفصح عما تريد ؟ ان هذه الاشارات الغامضة تجعلنى اعتقد انك مجنون تهذى ..

فلم يزد لوبين على ان ابتسم وقال :

ـ ان الجنون هو الخلة الوحيدة التى امتاز بها عن

الناس جميعا ولكن دعينى اقل لك ...

فقاطعته بقولها :

ـ انك تعلم ان المفتش تيل قد بث عيونه وارصاده حول البيت وان رجاله يرقبون حركاتك منذ بضعة أيام فهل تعتقد ان فى وسعك فى هذه المرة أن ..

ولكنه قاطعها قائلا :

ـ انى لا أجهل ان المفتش تيل يراقب حركاتى وقد مضت ايام لم اعمل فيها شيئا جديدا فاذا انا استمررت على هذا لا سيما بعد حادث اقساط الدين اعتقد تيل انى اطلقت اللصوصية وانى قد صرت من رجال البوليس ..

ـ ولكن ...

ـ دعينى ، ولكن ، الآن .. لقد اطلعت بالامس على كشف حسابى بالبنك فوجدت أنه تنقصنى بضعة شلنات لكي يكون رصيدى مائة الف جنيه فيجب ان ابحث عن شخص يقدم الى هذه الشلنات الناقصة .. ووقع اختيارى على ايزادور لانى اعلم ان بضعة شلنات لن تؤثر فى ماليته ..

جرى هذا الحديث بين ارسين لوبين وباتريشيا هولم عقب فراغهما من تناول طعام الفطور وذلك بصرف النظر عن ان هذا الفطور قدم اليهما قبل الظهر بنصف ساعة فان للوبين قبل الظهر بنصف ساعة فان للوبين مواعيده الخاصة فى مواعيده الخاصة فى ايام الراحة ..

وهذه الاحاديث التى تدور دائما عقب الفطور هى المسئولة عن الشطر الاكبر من مغامرات ارسين لوبين فان من عادته أن يشعل سيجارته ويرسل من فمه سحابات متتالية من الدخان مصحوبة بكلام هو اقرب الى الهذيان .. ولا يلبث هذا الهذيان أن يتمخض عن مغامرة جديدة ..

واخذت باتريشيا هولم تتأمله وهو يلقى اليها بهذه

الأحاديث في استخفاف وقلة اكتراث وقد التمعت عيناه بذلك البريق الذي ينم عما طبع عليه من الجراة والولع بمجالدة الأخطار .. ويفتنها منظره ويشتد اعجابه به ويتضاعف حبها لهذه النزعات الجنونية التى تصدر عنه ..

وقال لوبين مختتما حديثه :

– انى أعرف ان في هذه المغامرة متاعب جمة ولكن فيها ايضا مالا جما وما الذى يبغيه الانسان في حياته اكثر من المال والمتاعب ؟ انك تعرفين انني رجل لا تطيب لى الحياة الا اذا حفلت بالكفاح والصدام . ومن المحتمل جدا أن هذه المغامرة قد تسفر عن متاعب اكثر مما اتوقع فقد علمت ان المفتش نيل يهتم ايضا بعزيزى ايزادور وان كنت لا اعرف مدى هذا الاهتمام . فهلا تعتقدين ياعزيزتى ان هذه فرصة طيبة يجب ان نغتنمها ! ..

وتنهدت باتريشيا هولم ولم تجب على هذا السؤال فقد كانت تعرف ان لوبين لا يرسل مثل هذا الكلام الا اذا كان عزمه قد صح على الخطة التى ينوى أن يتبعها ..

ظن فرانك هومر حين نزل من السفينة في ميناء سوثمبتون ان وصوله سر لم يعرف به أحد . والواقع انه كان مصيبا في اعتقاده هذا حتى أن المفتش بيترز لم يكن يعلم بوصول طريدته على الرغم من انه كان يترقب وصوله منذ بضع سنوات ..

ومر هومر على مقربة من المفتش دون أن يتمكن هذا من معرفته . والفضل في ذلك راجع الى اللحية المستعارة والى جواز السفر المزيف باتقان والذى تسمى فيه باسم لم يختره أهله ..

حقيقة قد لقى فرانك هومر وهو فى طريقه الى انجلترا

شخصا يعرفه حق المعرفة وكان هذا الشخص خطرا عليه ولكن فرانك كان يحمل مسدسين وكان يعرف كيف يستعملهما ..

وبذلك زال الخطر لأنه استعملهما ..

وكان الشخص الوحيد بعد ذلك . الذى لا يجهل وصول فرانك هومر الى انجلترا انما البرمان ذلك اليهودى العبقرى الذى يعرف مهنة تزوير جوازات السفر باتقان يخدع حتى رجال البوليس . اذ كان البرمان هو الذى قدم الى فرانك جواز السفر الذى يخوله الحق فى دخول انجلترا ..

بينما كان القطار يطوى الطريق متجها الى محطة ووترلو جعل فرانك يفكر في تلك الحياة المترفة الناعمة التى ينوى أن يمضيا فقد كان في نيته أن يرحل الى سويسرا فيشترى قصرا هناك يقيم فيه بقية العمر مبتعدا عن الاخطار التى يستهدف لها بسبب تحرش رجال البوليس به ..

ولكن احلام فرانك هومر ما ابثت أن تبددت حين التقى به بريجو ..

كان بريجو يركب نفس القطار والذاهب الى محطة ووترلو .. وقد راى فرانك هومر في القطار .. وكان بريجو ماهرا في القتل بالخناجر وبذلك لم يتردد في ان يستعمل خنجره ..

وهكذا لم يكد فرانك هومر يدخل الى انجلترا حتى خرج منها .. خرج منها الى القبر ..

وبذلك يكون هنالك رجلان قد قتلا ولما تمض على أستهلال القصة ساعة أو ساعتان .. وهذه بلا شك بداية طيبة ..

ولكن ارسين لوبين لم يكن يعرف شيئا عن هذه البداية . وكل ما هنالك انه كان شديد الاهتمام بايزادور البرمان

فلما ذهب اليه ليجمع بعض المعلومات الأخرى عرف بما وقع ..

كان لوبين يعلم ان المفتش تيل ارصد امام بيته بعض رجاله ليراقبوا حركاته ولذلك صنع في الجدار بعض ممرات سرية تتصل بالبيوت الأخرى الملاصقة والتى تفضي ابوابها الى الشوارع الخلفية حتى يتمكن من الخروج والدخول دون ان يشعر به مراقبوه ..

ففي الساعة التاسعة من مساء تلك الليلة صعد لوبين الى مخدعه وحرك المرآة الكبيرة المسندة الى الجدار فانكشفت عن ممر خفي مظلم دخل اليه حتى بلغ نهايته وضغط زرا خاصا فتحرك الجدار فانكشف عن ظهر دولاب يقع في المسكن رقم ١٠٥ بميدان بركلي والذى يقطنه السائق الخاص لمستر جوزيابند ..

اما مستر جوزيابند فلم يكن في الواقع الا ارسين لوبين فلم يكن اهون عليه كلما اراد ان يبعد صاحب المسكن عن مسكنه الا ان يامره بصفته مخدومه بالذهاب الى مكان ما ..

اما الممر السرى الذى سار فيه فكان يقع بين جدارين في البيت الخلفي الذى كان يملكه لوبين نفسه تحت اسم مستعار من اسمائه التى لا حصر لها ..

وهكذا خرج لوبين من البيت الخلفي المطل على ميدان بركلي بينما كان رجال المفتش تيل يعتقدون انه في مسكنه لم يبرحه ..

ولم يكن بريجو يعلم بطبيعة الحال ان ارسين لوبين قد غادر مسكنه من ذلك الممر السرى وانه الآن مختف فوق شجرة على مقربة من بيت اليهودى البرمان يرقب الداخلين الى ذلك البيت والخارجين منه ..

والواقع ان بريجو لم يكن في سعة من الوقت تمكنه من ان يفحص الأشجار المحيطة بمنزل اليهودى . وذلك انه بعد ان قتل فرانك هومر شاء سوء حظه ان يجعل احد رجال البوليس السرى يراه فخشي بريجو ان يقبض عليه البوليس بتهمة القتل فاسرع بالفرار وذهب الى بيت صديقه اليهودى ..

ودق بريجو الجرس في حركة سريعة تدل على الاضطراب دقات ذات نظام خاص متفق عليه ..

فلما سمع لوبين رنين الجرس ولما راى الطارق يتلفت حوله في خوف وذعر قال لنفسه :

ــ لا شك ان هناك ما يخيف هذا القادم فليت شعرى اى شيء يفزعه ؟ ..

وهبط من الشجرة ودخل الى البيت من النافذة في الوقت الذى كان فيه البرمان يفتح ليستقبل الزائر ..

وقال اليهودى يخاطب زائره :

ــ لقد تاخرت ! ..

فقال بريجو في اقتضاب وصوته ينم عن انفعاله :

ــ لقد كنت في مازق حرج .

ودخل الى الردهة مسرعا ثم خلع معطفه بينما كان البرمان يغلق الباب خلفه واقبل عليه اليهودى يقول في صوت تنم نبراته عن القلق :

ــ هل اقتفى خطواتك احد ؟ ..

ــ كلا .. لقد استطعت ان اضللهم ..

ــ وهل تم كل شيء على ما يرام ؟ ..

فاحنى بريجو راسه ايجابا وعلق قبعته على الشماعة وهو يقول :

ــ ان ما تسالنى عنه قد تم على ما يرام .. ولكن الشيء الذى يزعجنى هو الحظ السيء الذى جعلنى التقى بالمفتش

هندرسون .. فعندما يسمع نبأ ما اصاب فرانك سيذكر على الفور الطريقة التي هربت بها .. وعندئذ ذلك سيفهم حقيقة ما حدث ..

ـ هل قتلت فرانك ؟ ..

وكانت اسئلة البرمان كلها على هذا النمط صريحة ليس فيها شيء من الالتواء او المواربة ..

وقال بريجو في اقتضاب :

ـ لقد اضطررت الى ذلك .. اني اريد قدحا من الخمر :

كان من عادة بريجو ان يطفيء انفعاله بالشراب شأن زملائه في شيكاغو ذلك انه كان من رجال العصابات في شيكاغو ولقد قتل اكثر من اثني عشر نفسا قبل أن يفكر رجال البوليس في القبض عليه فلما استيقظوا من نومهم وفكروا في القبض عليه هرب الى كندا ومنها الى انجلترا .

وعندما صعدا الى الطابق الاعلى قال بريجو يخاطب اليهودي :

ـ هل اعددت التذكرة المطلوبة ؟ ..

ـ نعم .. وقد حجزت لك مكانا على الباخرة « برنجا » وستقلع بعد ظهر الغد .. ولكن هل انت مستعجل الى هذا الحد ؟ ..

ـ اظن ذلك .. فان سلامتي تقتضي أن اعود باسرع ما يمكن .. واني اعرف في دوريت عميلا على استعداد لان ينقدني ثمنا كبيرا في حصتي .. اما في هذه البلاد الملعونة فلن اجد من يشتريها مني ..

وهز البرمان كتفيه وفتح باب الغرفة المجاورة وتقدم خطوتين في غلاء الغرفة اما بريجو فقد تقدم خطوة واحدة ..

ثم وقف الاثنان جامدين كأنما سمرت اقدامهما في الارض ! ..

الفصل الثاني

هتف ارسين لوبين في صوت يدل على الجذل والمرح

ـ تفضلا بالدخول أيها الصديقان العزيزان ..

ثم ارتمى على المقعد الكبير وفي يده اليسرى سيجارة مشعلة حديثا اما في يده اليمنى فمسدس تبعث رؤيته على الرعب ..

وقد كان لهذا المسدس الاثر المطلوب اذ وقف الرجلان فاغري الفم لا يدريان ما يسمعان ..

ولكن لو أن الانسان نظر الى ارسين لوبين لما خطر له أنه يحمل مسدسا في يده وهو يرى على شفتيه الابتسامة الحلوة الفتانة التي تشبه ابتسامة الصديق العزيز وهو يرحب بقدوم صديق عزيز ..

وتمتم لوبين يقول :

ـ يمكنكما أن تجلسا .. ولكن ارجوك يا بريجو ان تغلق الباب .. وبهذه المناسبة . على أي حال تركت فرنك ؟ ..

وكان بريجو قد رفع يده ليوصد الباب تلبية للامر الذي صدر اليه ولكنه لم يكد يسمع هذا الزائر المجهول ينطق باسم فرانك حتى شعر كأنما اصابته صدمة كهربائية فسقطت يده الى جانبه كالمشلول واستدار الى الخلف ونظر الى لوبين في ذعر وهلع ثم سأله في صوت مبحوح اجش :

ـ وماذا تعرف عن فرانك ؟ ..

فقال لوبين :

ـ الشيء الكثير .. ولكن ارجوك ان تغلق الباب اولا فنتكلم بعد ذلك ثم التفت الى البرمان وقال له :

ـ انني اعلم انها صفقة طيبة تلك التي جعلتك تهتم بفرانك هومر ولكن كان في وسعك ان تكون احكم من هذا

وادهى .. اجلسا ايها الصديقان واشربا اى عدد تشاءان من أقداح الخمر فانى احب أن تشعرا بالسعادة والهناء ..

فصاح بريجو قائلا :

— من أنت ؟ ..

فنظر لوبين الى اليهودى نظرة تنم عن الاستخفاف وهو يقول :

— أتعرف جواب هذا السؤال يا ايزادور ؟..

فهز البرمان راسه نفيا وهو يرطب شفتيه بلسانه ..

وابتسم لوبين ونهض واقفا وهو يقول :

— اجلسا ..

واشار بفوهة مسدسه الى مقعدين قريبين . فجلس الرجلان فيهما واسند لوبين ظهره الى المدفأة وهو يقول :

انى لا احب ان اكذب عليكما ولذلك سأصارحكما بالحقيقة ..

وسكت برهة ثم اردف يقول :

— اننى ارسين لوبين ..

وارتسمت على شفتيه ابتسامته المعهوده اذ طاب له ان يرى هذا الذعر الذى تجسم في أعين الرجلين . واستطرد :

— نعم اننى الرجل الذى يتمنى جميع الناس الذين من طرازكما ان يقابلوه .. اننى الرجل الذى يحارب رجال البوليس كما يحارب المجرمين على السواء .. اننى الرجل الذى يبعث الرعب فى قلوب الدنيا باسرها سواء كانوا من الصالحين أو الطالحين ..

ثم ابتسم وقال :

— ان فى رصيد حسابى بالبنك عجزا مقداره بضع شلنات وقد جئت لاسألكما تكملة هذا العجز ... وانى اعلم بطبيعة

الحال انكما سترحبان بهذه الفرصة النادرة وستبادران على الفور الى دفع ما أطلبه منكما ..

وكان الرجلان يصيغان اليه وهما صامتان وكان لوبين يعلم انهما بطبيعة الحال لن يرحبا بهذه الفرصة ولكنه كان يحب دائما ان يستمتع بهذه اللحظات التى يتهكم فيها على أعدائه ..

وقال بريجو مزمجرا : — ماذا تريد ؟ ..

فأجابه لوبين في ايجاز : — الماسات ..

— اية ماسات ؟ ..

وكان صوت بريجو مبحوحا وقد حاول ان يجعله دالا على الاستغراب ولكن لوبين لم يكن ممن يخدعهم هذا التظاهر ولذلك قال في بساطة :

— الماسات المهربة والتى جلبها فرانك هومر معه بناء على اتفاق سابق بينه وبين ايزادور .. انها الماسات التى لاجلها غدر ايزادور بصاحبه فرانك واتخذك شريكا له بدلا منه . وبالاختصار انها الماسات التى تحملها الآن معك ياعزيزى بريجو ..

— انى لا اعرف عما تتحدث ..

— حقا ؟ اذن ففى وسع ايزادور ان يفسر لك ما تراه غامضا ..

ونظر لوبين الى صاحب الدار ولكن هذا لبث صامتا لا يتكلم ..

فقال ارسين لوبين وهو يهز راسه في شيء من الحزن :

— هل اصاب الخرس لسانك يا ايزادور ؟ انى اصفح عنك فقد سبق عرفت قوما من افصح الخطباء اصيبوا بالعى واللكنة حين رأونى أمامهم ..

وأخرج لوبين من جيبه حبلاً دقيقاً من الحـــــرير وهو يقول :
ـ اسمح لى يا ايزادور ان اقيدك ..
ثم اقترب من اليهودى ومسدسه فى يده وربطه الى المقعد الجالس اليه ربطاً محكماً وهو يصوب المسدس اليه ..
ثم تحول الى بريجو وقال :
ـ اين الماسات يا صديقى العزيز ؟
فاجابه الآخر في صوت غاضب :
ـ انها في المكان الذى لا يمكن ان تهتدى اليه ..
فهز لوبين كتفيه في استخفاف وقال : ـ ان المكان لم يخلق بعد ..
وجعل ينظر الى بريجو من قمة راسه الى اخمص قدميه لقد كان يعرف ان بريجو يحمل معه من الماســـات المهربة ما قيمته مائة الف جنيه ولكن فى اى مكان يخفيها من هـذا الجسم الطويل العريض ؟ ..
وفتش لوبين جيوب بريجو فلم يجد فيها شيئا ..
واخيرا ومض ذهنه بخاطر نير عجيب فقال :
ـ ان بنطلونك ليس متناسقا مع جاكتتك ..
ونما هذا الخاطر في ذهنه فقال :
ـ وانى اراهنك على ان بنطلون فرانك هومر وجاكتته غير متناسقين ايضا وكان لوبين يرقب بريجو وهـــو ينطق بهذه الكلمات . ولبث هذا جامدا الا تنم نظراته عن شيء مما يجرى في خاطره ولكن لوبين استطاع ان ينفذ ببصيرته الى مكنونات نفسه وان يعرف انه اصاب استنتاجه ..
وأغرق لوبين فى الضحك فقال بريجو فى صوت اجش :
ـ ما الذى يضحكك ؟ ..
فتماسك لوبين وقال : ـ دعنى اشرح ما جال بخاطرى ..

ان الماس المهرب خطر على من يحمله وليس في وســعك بطبيعة الحال ان تضعه في حقيبة مفتوحة وتمشي بين الناس وانت تصيح ، انظروا هذا هو الماس المهرب .. هذا هـو الماس المهـــرب ، وانما المفـــروض ان تخفيه في مكان امين وقريب منك وليس معقولا ان تحمله في جيوبك لأن للجيوب اخطارها المعروفة .. فمن السهل ان تفتش او تنشل .. فالحل الوحيد هو ان تخيط الماس المهـــرب في ثيابك .. وهذا هو ما فعله فرانك هومر ..
وسكت لوبين برهة ثم استتلى قائلا :
ـ وكان في وسعك بطبيعة الحال ان تنزع الماس من ثياب فرانك ولكنك لم تشأ ان تفعل ذلك وهو قتيل عنـد قدميك خشية ان يفاجئك احد حراس القطار .. اجلس مكانك يابريجو واياك ان تتحرك .. ولهذا رأيت ان الحل الوحيد لهذه المشكلة هو ان تنزع جاكتة فرانك فترتديها على ان تلبسه جاكتتك انت ..
فقال بريجو في ثبات : ـ للمرة الثانية اقول لك انى لم افهم بعد ما تعنيه بهذا الحديث ..
فقال لوبين : ـ بل انك تفهم ما اعنيه حق الفهم .. ان هذه الجاكتة التى ترتديها لا تخصك بل هى جاكتة فرانك هومر التى خاط فيها الماس فاخلعها من فضلك ..
وتردد بريجو برهة ولكنه اضطر ان يرضخ تحت تهديد المسدس المصوب اليه وخلع الجاكتة ورماها عند قدمى لوبين فتناولها هذا وجعل يجس ثناياها باصابعه بحثا عن الماس ..
وبعد بضع دقائق لم يسفر التفتيش عن شيء ..
وعجب لوبين لذلك فقد كان موقنا من انه لم يخطىء في استنتاجاته وان الوحى الذى هبط عليه كان صادقا فما هو

السبب اذن في عدم عثوره على الماس المخبأ ؟ ..

ان لوبين لم يعتد مطلقا أن يخطئ في الاستدلال .. ان منطقه يضطرد في تسلسل طبيعى لا يمكن ان تكون فيه فجوة أو ثغرة ..

ان السترة التى يرتديها . بريجو ليست متناسقة فالجاكتة من لون لا يتفق مطلقا مع لون البنطلون ولو بلغ الانسان من فساد الذوق ما بلغه بريجو ..

فالمعقول أن تكون هذه هى جاكتة فرانك هومر وان بريجو انما نزعها عنه وارتداها هو نفسه لانه كان يعلم ان القتيل خاط فيها الماسات المهربة ..

وعاد لوبين للمرة الثانية يفتش الجاكتة تفتيشا دقيقا لم يسفر – للمرة الثانية – عن أية نتيجة .

وهز لوبين راسه وقال : – ولكن كيف هذا ؟ ..

ونظر لوبين الى بريجو فقرأ في عينيه الاستخفاف والتهكم فحجز فى نفسه الألم وشعر بهذه الطعنة التى وجهت الى كرامته ولكنه لم يقل شيئا ..

وقال بريجو ساخرا :

– هل تنوى أن تفكر مرة أخرى ؟ ..

– فقال لوبين في صوت رقيق :

– طبعا .. طبعا .. لنى مصاب بداء التفكير ..

ثم نهض واقفا واخرج سيجارة من جيبه واشعلها وجعل يدخن في هدوء وكان بريجو يتابعه بنظراته ..

أما اليهودى البرمان فكان جالسا فى مقعده مشدودا اليه وهو لا ينطق بكلمة واحدة . ولم يحاول لوبين ان يوجه اليه أى سؤال لانه كان يعلم انه يجهل مكان الماسات المخبأة ..

ان الوحيد الذى يعرف مخبأ الماسات هو بريجو ..

وهز لوبين راسه وقال : – سأعرف كيف ارغمك على الكلام ! ..

الفصل الثالث

ابتسم بريجو فيما يشبه تكشير الوحش عن انيابه وقال : لقد سمعت انك شديد الحذر والبراعة وان لك شهرة طويلة عريضة فهل هذا صحيح ؟ ..

فاجابه لوبين وعيناه ترميان بالشرر :

– لقد اصدقوك القول ..

وفى هذه اللحظة قطع الحديث دقات شديدة على الباب خيل معها للحاضرين ان الجدران قد أخذت تهتز وفى نفس الوقت ارتفع من الطريق بوق سيارة وهو يدوى بطريقة خاصة ..

وتبادل البرمان وبريجو نظرات قلقة تدل على الانزعاج ..

المذعورة التى انبعثت من اعين الرجلين دلته على انه مخطىء في استنتاجه هذا ..

وحين سمع لوبين صوت بوق السيارة أدرك حقيقة الأمر فقد كانت هذه اشارة متفقا عليها بينه وبين باتريشيا هولم اذ تركها فى الطريق تجول بالسيارة على مقربة من البيت حتى اذا لاحت لها في الأفق بادرة من الخطر نبهته بنفير السيارة ..

وفهم لوبين أن في الأفق خطرا ..

ولقد ظن لوبين في اول الامر ان اليهودى على موعد مع بعض الأصدقاء وانهم حضروا لسوء الحظ في هذه اللحظة الدقيقة الحرجة . ولكن النظرات ..

وقد ظن في اول الأمر ان هذا الخطر ناشىء عن قدوم بعض أصحاب لرب الدار ولكنه ما لبث أن ادرك ان رب الدار لا يعلم عن الأمر شيئا ..

وهل تعتقد أني بمثلها استطيع ان اصرع دمبسى ؟
فصاح تيل وهو يزمجر قائلا :
ـ أين بريجو ؟
ـ في الطابق الأعلى .
ـ منذ متى ؟
ـ منذ نصف ساعة .
ـ وانت .. متى وصلت ؟
ـ فى نفس الوقت .
ـ وما السبب ؟
فقال لوبين في صوت هادىء :
ـ هل تريد ان اكذب عليك او ان اصارحك بالحقيقة ؟
ـ الحقيقة طبعا .
ـ حسنا لقد نظمت بضعة أبيات من الشعر تنتهى قافيتها بحرف النون وانت تعرف ان النون من اصعب القوافى واشدها منالا وقد بلغنى ان بريجو يجيد فن النظم فحضرت لكى استعين به على حل هذه المشكلة .
فكان جواب هذه الدعابة أن اشار المفتش تيل الى بعض رجاله قائلا :
ـ خذوه !
فوضع لوبين يديه فى جيوبه وقال وهو يبتسم :
ـ ولماذا ؟
فقال المفتش تيل مجيبا :
ـ هناك رجل من مهربى الماس يدعى هومر وجد قتيلا فى القطار المسافر الى ووترلو اليوم .. وقد شوهد بريجو فى المحطة ووترلو .. وقد جئت لاقبض عليه بتهمة القتل وساقبض عليك انت بتهمة الاشتراك معه .
ـ آسف جدا .

وقد نطق لوبين بهذه الجملة فى لهجة كان يعرفها المفتش تيل حق المعرفة .. ويعرف أن لوبين لا يلجأ اليها الا اذا كان موقنا من ان تيل لن يتمكن من أن يمس من رأسه شعرة واحدة .
وقال تيل وهو يتفرس فيه :
ـ أتريد ان تقول ان لديك دليل نفى يرفع عن عاتقك التهمة ؟
ـ نعم ان لدى دليل نفى .
ـ اذن ستذكره لى فيما بعد .
ـ بل ساذكره لك الان وستسمعه منى .
وكان تيل يكره من لوبين هذه اللهجة الصارمة ولكنه كان مضطرا الى الاصغاء اليه وهو يقول له :
ـ لقد كنت موجودا فى مطعم دورشستر اتناول عشائى من الساعة السابعة الى التاسعة اى فى الوقت الذى تتحدث انت عنه .. وكان معى صديقان يشهدان بذلك .. وقد تكلمت مع رئيس الخدم والقيت عليه درسا فى الطريقة التى يجب ان يصنع بها الكوكتيل .. فاذا كنت مغرما بالكوكتيل فيمكنك ان تذهب الى المطعم وتسأل رئيس الخدم عن الوصفة التى ذكرتها له .
فقال المفتش تيل :
ـ انى لا اتهمك بارتكاب جريمة القتل ولكننى اتهمك بانك شريك للقاتل فيمكنك ان تثبت انك كنت فى أمريكا الجنوبية فى الوقت الذى ارتكبت فيه الجريمة فان هذا لا يغنى عنك شيئا .
وكان لوبين يكدح ذهنه مفكرا فى هذه الظروف المتشابكة التى يجد نفسه فيها ، فقد كان ازاء عدة مشاكل يجب أن يعالجها بحكمة وأن يتغلب عليها كلها .

فالمشكلة الاولى ان بريجو لا يزال يحتفظ بالماس فى مخبأ لم يهتد اليه لوبين بعد .

والمشكلة الثانية انه يجب أن يتهدى الى هذا المخبأ وان ينتزع من بريجو سره .

والمشكلة الثالثة انه يجب ان لا يتمكن المفتش تيـــل من معرفة مخبأ الماس .

والمشـــكلة الرابعة أنه يجب ان يبقى حرا مطلق السراح ليتمكن من معالجة المشاكل السابقة .

والمشكلة الخامسة انه لن يتمـــكن من ان يبقى حرا لان المفتش تيل يريد ان يقبض عليه .

والواقع ان المفتش تيل كان عازما أصدق العزم على أن يقبض على لوبين .

واخرج لوبين يديه من جيوبه وارتسمت على شفتيـــه ابتسامته الساخرة الممتلئة استخفافا وقلة اكتراث .

وعلى حين بغتة دفع المفتش فى صدره دفعة قوية جعلته يتراجع الى الوراء وهو يكاد يسقط على الارض على حين قفز لوبين قفزة قوية واخذ يرتقى السلم مسرعا .

وانطلق رجال البوليس السرى فى اثره محاولين اللحـــاق به ولكن لوبين كان قد بلغ اعلى السلم وكان قد رأى دولابا كبيرا جذبه من مكانه وزحزحه حتى صار عند راس الســـلم ثم صاح قائلا :

ـ ايها الاصدقاء .. خذوا هذا الدولاب هدية منى اليكم .

ودفع الدولاب بيديه فاخذ يتدحرج بسرعة منحدرا الى اسفل السلم .

ونظر رجال البوليس الى الدولاب الهابط اليهم مندفعـــا كأنه صخرة عاتية وتراجعوا الى الوراء مذعورين .

وفى ذلك الوقت كان لوبين قد دخل الى الغرفة ليجـــده

معرفته بمستر بريجو فوجد ان رجل العصابات قد استفاق من الغشية التى اصابته وانه كان واقفا الى جوار المدفأة يرتب رزمة من الأوراق ويضعها فى محفظته .

ولم يكد بريجو يشعر بقدوم لوبين حتى استدار اليـــه وتهيأ لمنازلته ولكن لوبين أومأ اليه بيده وهو يقول :

ـ لقد انتهى الوقت المحدد للملاكمة ايها الصديق العزيز .. ان رجال البوليس فى البيت فلا بد لنا من ان نتعاون على الفرار معا .

واوصد لوبين الباب ومشي الى النافذة واطل منها على الحديقة فلاحت له اشباح تتراءى له فى الظلام فعرف أن رجال البوليس يحاصرون المكان فصاح بملء صوته يخاطبهم بقـــوله :

ـ احذروا من البرد ايها الاخوان والا اصابكم الزكام .

ـ ثم تحول الى بريجو وقال :

ـ أليس هناك سلم خلفى ؟

فنظر بريجو فى دهشة وقال :

ـ ما غرضك يا لوبين ؟

فقـــال هذا مجيبا :

ـ غرضي أن انقذك وانقـــذ نفسي . فاجبرنى بسرعة عما تعلم .

وفى تلك اللحظة ارتفع وقع اقدام رجال البوليس وهم يرتقون السلم وأدرك بريجو حرج الموقف فقال :

ـ الواقع انى لا اعرف طريقا للفرار .

فضحك لوبين وقال :

وسنهرب من هذا الطريق الذى لا تعرفه !

وكان رجال البوليس قد بلغوا باب الغرفة الموصـــدة واخذوا يحركون المقبض بشدة فقال البرمان المشـــدود الى

المقعـــــد !
ـ وماذا يكون مصيرى أنا ؟
فتناول لوبين اناء للزهور كان موضوعا على رخامة المدفأة فافرغه مما فيه من الزهور ثم البسه لرأس اليهـــودى فانحشرت فيه وقال له :
ـ يمكنك أن تغطى راسك بهذا الاناء حتى لا يؤذيك البرد
وفى ذلك الوقت كان رجال البوليس المحتشدون عند الباب قد استعدوا لتحطيمه .
وصاح المفتش تيل قائلا :
ـ هيا .. .اخلعوا الباب كرجل واحد .. هيا
ودفع رجال البوليس الباب بأكتافهم دفعة خلعته من موضعه ولكنهم حين دخلوا الغرفة لم يجدوا فيها الايزادور البرمان مشدود الوثاق الى مقعده ورأسه مدسوسة في اناء الزهور وهو يكاد يختنق .
وجال تيل بنظره فى أرجاء الغرفة فرأى بابا داخليـــا فصـــــاح قائلا :
ـ لقد هربوا من هنا !
وفتح الباب الداخلى فوجد نفسه فى غرفة اخرى رأى بها نافذة مفتوحة فأسرع اليها واطل منها على الحديقـــة وصاح قائلا :
ـ أرأيتم احـــدا ؟
فجاء الجواب بالنفى من رجال البوليس المحتشـــدون فى الحـــديقة .
وابتعد تيل عن النافذة ورأى فى الغرفة بابا آخر فلما فتحه وجد انه يفضى الى المشي المؤدى الى السلم فأخذ يصخب ويلعن . ففى الوقت الذى دخل فيـــه مع رجاله الغرفة كان لوبين وبريجو قـــد خرجا الى المشي من باب الغرفة المجاورة .

وبمثل هذه الحيلة البسيطة استطاعا الافلات .
وحين هبط لوبين الى الردهة السفلى قال مخاطبا بريجو:
ـ انني مسئول عن سلامتك فيجب أن أنقذك .
وكان لوبين صادقا فى هذا القول ولم يكن فى الواقع مغرما بأن ينقذ بريجو حبا فى سواد عينيه وانما حبا بتلك الماسات التى تقدر بمائة الف جنيه والتى لا يعرف مخبأها ســـــواه .
واستطرد لوبين يقول :
ـ اذا فرض واضطررنا الان الى التفـــرق فيمكنك أن توافينى الى مسكنى رقم ٧ بميدان بركلى فاياك أن تنسى هـــذا العنـــوان .
فنظر اليه بريجو من جانب عينه وقال :
ـ انى لا اريد أن اقابلك ثانية .
فكان جوان لوبين :
ـ بل ستقابلنى !
ودفعه الى خارج البيت .
وفي تلك اللحظة كان المفتش تيل . قد بلغ رأس السلم وخلفه اثنان من رجاله فلما نظروا الى الردهة وجدوا لوبين واقفا مسندا ظهره الى الباب ويداه فى خصره وعلى شفتيه ابتسامة لطيفة جذابة .. وقال لوبين :
ـ وعلى ذكر القصـــيدة التى نظمتها . الم يسبق لك يا تيل أن نظمت الشعر ؟
فكان جواب المفتش تيل على سؤاله أن صاح برجاله :
ـ اقبضوا عليه !
وأسرع رجال البوليس يهبطون السلم متدافعين .
وفتح لوبين باب البيت وسمع نفـــير السيارة يدوى باستمرار اذ كانت باتريشا هولم تطوف حول البيت وقد

ارادت بصوت البوق المتواصل ان تنبهه الى مكانها .

وقبل أن يبلغ رجال البوليس أسفل السلم كان البـــاب قد أغلق مرة أخرى .

وصاح المفتش تيل برجاله المنبثين حول البيت :

ـ هل قبضتم عليهما ؟

ـ كلا بكل أسف .

ـ وكيف أفلتا منكم ؟

ـ لقد انطلقا بالسيارة هاربين قبل أن نتمكن من اللحاق بهم

وفي تلك اللحظة ارتفع من نهاية الطريق صـــوت بوق سيارة يدوى بطريقة فيها تهكم واستخفاف .

الفصـــل الرابع

حين سمع المفتش تيل نفير السيارة الحافل بالسخرية والهزء احمر وجهه غضبا وانتفخت أوداجه حتى خيل لمن حوله ان الدماء تكاد تنفجر من عروقه .

وصاح المفتش تيل برجال البوليس الذين كانوا واقفين عند الباب قائلا :

ـ هل رأيتم بريجو ؟

وتقرير للواقع وانصافا لذكاء رجال البوليس ان نقول ان هذا السؤال خرج من فم المفتش تيل وهو عبارة عن فحيح أشبه بفحيح الأفعى ولم تكن كلماته مفهومة ولكن رجاله لفرط ذكائهم فهموا ما يقول فأجابوه بقولهم :

ـ نعم لقد رأيناه .. لقد خرج وحده من البيت ووقف ينتظر عند الباب فلم نعرفه أول الأمر نظرا للظلام السائد فظنناه واحد منا .. وبعد قليل فتح الباب وخرج الثانى

وصاح تيل بصوته المختنق الأجش :

ـ وما تنتظرون ؟ أسرعوا خلفهم أيها الأغبياء .

وفي الوقت الذى أسرع فيـــه رجال البوليس خلف السيارة الهاربة صعد تيل السلم وهو ينفخ كالمرجل الذى يغـــلى .

ووجد ان رجاله قد استطاعوا أن يخرجوا رأس البرمان من اناء الزهور وانه صار اذ ذاك في حالة يمكنه معها أن يتكلم . والملك لم يكد يرى المفتش تيـــل يدخل عليه حتى هتف به :

ـ انك لا تستطيع أن تقبض على بلا سبب يا مستر تيل .. لقد قبض على هذان الرجلان واوثقانى .. وقد رأيتنى بنفسك مقيدا عند قدومك .

فقال المفتش تيل فى لهجة جافة :

ـ وهل تحسبنى غبيا لا اعرف من انت ؟

فبان الخوف فى عينى البرمان وصاح قائلا :

ـ ارجوك ان تصغى الى يا مستر تيل فأخبرك بأشياء كثيرة يسرك أن تعلمها .. اننى أكره بريجو .. لقد سرق منى بعض جوازات للسفر ولم ينقدنى ثمنها .. اقبض عليه يا مستر تيل اخبرك عنه بكل ما اعلم . اقسم لك أنى رجل برىء .

فقال تيل في اقتضاب :

ـ يمكنك أن تخبر القاضي بما تشاء

فقد كان تيل فى هذه اللحظة على حال من ضيق الصدر لا يسمح معها أن يصغى الى كلمة واحدة .

لقد هزأ به لوبين للمرة الرابعة بعد الألف دون أن يتمكن مرة واحدة من أن ينتقم منه لنفسه . فكم من مرة أراد أن يقبض عليه فاذا به يفلت من بين أصابعه بطريقة عجيبه دون أن يمكنه من شفاء غليله .

كم من مرة خيل فيها الى المفتش تيل أن لوبين قد أصبح

تحت رحمته وانه لم يبق عليه الا ان يدعو المحكمة للانعقاد ويفتح الأبواب لاستقبال الجماهير لكى يشهد الناس محاكمة ارسين لوبين .

نعم .. كم من مرة طاف بذهنه هذا الخاطر وتهيأ لهذا المشهد التاريخى العظيم فاذا بالاحلام تتبدد واذا بالامال تذهب هباء واذا بارسين لوبين يفلت من بين اصابعه فى غمضة عين .

ولم يكن المفتش تيل مهتما بأن يقبض على البرمان .. بل لقد ازال اهتمامه بالقبض على بريجو .. وانما كان رجاؤه الوحيد فى تلك اللحظة ان يقبض على ارسين لوبين .

لوبين صاحب تلك الابتسامة الساخرة الحافلة بالتهكم .

لوبين صاحب تلك الكلمات المازحة اللاذعة .

وبين الذى يعرف كيف يسخر من المفتش تيل والذى بلغ من جراته ووقاحته وجسارته ان سيارته نفسها أخذت تتهكم على تيل بصوت النفير الذى كان ينبعث منها ! .

نعم .. كانت هذه هى الخواطر التى تجول فى صدر المفتش تيل وهو ينتظر عودة رجاله الذين انطلقوا يطاردون السيارة الهاربة .

ورجع رجاله بعد فترة من الوقت . فلما انباوه بانهم اخفقوا فى اللحاق بالسيارة احمر وجه المفتش تيل للمرة الثانية واخذ يصخب ويلعن ووصمهم بالغباوة والجهل وعدم فهم الواجبات الأولية الملقاة على عاتق رجال البوليس .

وعندما ركب تيل سيارة البوليس كان لا يزال ثائرا هائج الاعصاب ولكن عندما قطعت به السيارة شطرا من الطريق وضرب الهواء البارد جبينه هدات أعصابه الى حد كبير واستطاع ان يفكر .

لم يكن تيل يجهل ان ارسين لوبين يقيم فى المنزل رقم ٧ بميدان بركلى . ولكنه كان يجهل أن لهذا المنزل اتصالا خفيا بالمنزل الخلفى .

وقال تيل فى نفسه :

اغلب ظنى ان لوبين الان فى منزله متربعا على مقعده يدخن سيجارته في هدوء كأنما لم يرتكب شيئا منذ لحظات . . ولكننى ساقبض عليه .. نعم ساقبض عليه !

وكان تيل فى الواقع قد عقد العزم على أن يقبض على ارسين لوبين مهماكلفه الأمر ولذلك مال الى السائق وهتف به:

ـ اذهب بى الى ميدان بركلى .

الفصل الخامس

عندما افلت ارسين لوبين من أيدى رجال البوليس وغادر البيت تاركا وراءه المفتش تيل ورجاله وجد أن بريجو يريد ان يخدعه ويهرب منه فما كان منه الا ان لحق به وجذبه من ذراعه وهو يقول :

ـ اصعد الى سيارتى يا عزيزى اذ لا يليق بك ان تذهب الى بيتى سيرا على الأقدام !

وحاول بريجو ان يقاوم ولكنه راى السلامة فى الخضوع اذ كان رجال البوليس منتشرين حول البيت فلا أهون على لوبين من أن يرشدهم اليه فصعد الى السيارة مذعنا .

والتفت لوبين الى باتريشيا هولم وقال لها :

والان انطلقي ايتها العزيزة .

واندفعت السيارة الى الأمام تطوى الطريق بسرعة كبيرة.

والتفتت باتريشا الى لوبين الذى كان جالسا الى جوارها وقالت تسأله :

ـ ماذا حدث ؟

ـ حفلة صغيرة .

ماذا تقصد ؟

ـ لقد جرت فى البيت حفلة ملاكمة اذ اهديت بعض لكماتى الى رجال البوليس وعلى راسهم المفتش تيل ..

ـ انها هدايا قيمة لا تنسى .

واشعل لوبين سيجارته وجذب منها نفسا طويلا ثم قال :

ـ عندما سمعت الباب يطرق فتحته ورايت كرش المفتش تيل يدخل منه يتبعه المفتش تيل نفسه .. وكانت المفاجأة غير متوقعة فرحبت به على طريقتى المعهودة . اى ببضع لكمات جعلت عينيه تدمعان وفى الوقت الذى دخل فيه تيل خرجت أنا من البيت وتركت تيل هناك مندهشا من مسلكى اذ يعتقد أن واجبات المجاملة تقضي على بأن ابقى الى جانبه واؤنس وحدته ..

واحنت باتريشا راسها وقالت :

ـ لقد رايت رجال البوليس وهم يحدقون بالبيت فنبهتك بنفير السيارة ولكن هل عانيت كثيراً من المتاعب ؟

ـ كلا .. ولكننى اعتقد ان تيل لا بد ان يلحق بى الى

البيت لانه يرى ان فى وسعه ان يقبض على ولو بتهمة الاعتداء على رجال البوليس .

والقى لوبين نظره خلفه فلم ير أحدا يطارده .

ونظرت اليه باتريشا وقالت فى صوت ينم على الانفعال :

ـ لو انهم قبضوا عليك لما ترددت فى ان اصدم سيارتهم بسيارتى حتى اتمكن من انقاذك .

فحملق فيها لوبين وقال :

ـ ماذا دهاك يا باتريشيا ؟ هل فقدت عقلك ؟

فضحكت الفتاة وهزت راسها وهى تقول :

ـ لم افقد عقلى .. ولكن القاءهم القبض عليك كان كفيلا بان يجعلنى اقدم فى سبيل انقاذك على اى عمل مهما كان جنونيا .

وجعل لوبين يحدجها بنظرات فاحصة .

والواقع ان الله وهب لوبين القدرة على التفكير فى فتاته حتى فى أحرج المواقف واشدها خطرا .. فهو يستطيع ان ينتزع نفسه من المشاكل المحدقة به لكي يفكر فى باتريشيا هولم ...

وفى هذه اللحظة كان لوبين يفكر فى باتريشيا ..

وجعل ينظر اليها والسيارة تطوى الطريق طيا وشعرها يتهدل على جبينها وقد نثره الهواء .. ووجنتاها متضرجتان احمرارا . وعيناها تلمعان جذلا وتفيضان شبابا . وكان صدرها ناهدا بارزا كانما سيتفجر بالشباب والأنوثة .

وكانت باتريشيا تعلم أن لوبين يتأملها فالتفتت اليه قائلة:
— فيم تفكر أيها العزيز ؟

— انى أفكر فى انى احب دائما ان اذكرك وانت على مثل هـــذه الصورة .

ورفعت الفتاة احدى يديها عن عجلة القيادة ووضعتها على ركبة لوبين فتناولها بين كفيه وضغطها فى رفق وهو يقـــــول :

— انى سعيد لانى نشأت مغامرا .

ولبثا صامتين برهة والسيارة تنهب بهما الأرض نهبا من شرق لندن الى غربها . لا يعوقها عن السير الا أوامـــــر كونستبلات المرور وهم ينظمون حركة السير وكان بريجو جالسا فى المقعد الخلفى وياقته مرفوعة يغطى بها اذنيه ليتقى هبات الهواء البارد .

وكان يفكر فى تلك الحوادث التى مرت به فى خلال الساعة وذهنه الضيق يكاد ينفجر لفرط ما أرهقه بالتفكير .

ففى لحظة يجد لوبين يلكمه ويصرعه .. وفى اللحظـــة التالية يجده يقدم اليه قبعته فى احترام .

فى لحظة يجد لوبين على استعداد لتسليمه للبوليس .. وفى اللحظة التالية يجده يبذل قصارى جهده لانقاذه .

فى لحظة يجد لوبين يهاجم البوليس فى جرأة وجسارة .. وفى اللحظة التالية يجده قد تسلل هاربا منه .

كان بريجو يستعرض هذه الحوادث فى ذهنه وهو لا يجد لها تفسيرا معقولا .

ولكن شيئا واحدا كان واضحا فى عينيه .. شيئا واحدا لم يكن فيه خفاء أو ما يدعو الى التردد ..

هذا الشيء هو أن لوبين يعرف عنـــه الشيء الكثير وانه ينوى ان يستولى على الماس المهرب .

وكانت هذه الحقيقة الواضحة قـــد استقرت فى ذهن بريجو بجلاء تام فلما تدبر الأمر وجد أن الحل الوحيد الذى ينقذه من هذه الكارثة هو أن يبتعد بأسرع ما يمكن عن اى مكان يكون أرسين لوبين موجودا فيه .

وكانت السيارة قد بلغت مفترق الطرق فى أول شارع اكسفورد فاضطرت الى الوقوف تبعا لحركة المرور .

فرأى بريجو ان الفرصة سانحة له للفرار وكان مطمئنا ان لوبين لن يراه اذ كان موليا ظهره نحوه .

ولكن بريجو نسي المرآة المثبتة امام السائق والتى تكشف ما يجرى فى الخلف .

وفضلا عن هذا فقد كان لوبين يفكر فيما يفكر فيه بريجو .. وكان يعلم ان بريجو ينوى أن يهـرب وانه اذ كان قد جلس ساكنا فما ذلك الا لأنه يتحين الفرصة للفرار . ولذلك أخذ حذره وكان لا يكاد يرفع عينيه عن مرآة السيارة حتى فى الوقت الذى كان يغازل فيه صاحبته باتريشيا هولم .

وعندما هم بريجو بأن ينفذ ما جال فى خاطره التفت لوبين الى الخلف وقال له وهو يبتسم فى رقة :

— كلا يا عزيزى .

وبوغت بريجو فحملق دهشا وارتمى على المقعد ثانية .

الكونستبل (وأشار الى باتريشيا) أنه يعذبها عذابا لا يطاق وانى أسائل نفسي عما جعلها تتزوج هـذا المجنون .. ومع ذلك فانه يصبح شخصا آخر اذا ما أفاق من تأثير الخمر .. شخصا محترما لا يمكن أن يوجه اليه الانسان اى لوم .. وهو فى الواقع شخص محترم .. انه من كبار تجار الماس .. وهو الآن يساوى ما قيمته مائة ألف جنيه .. أى ما يساوى ما تستطيع أن تدخره من مرتبك فى مدة ثلاثمائة سنة على شرط أن تعيش على الهواء والماء .. الذى يوزع مجانا فى الحدائق العامة .

ومالت باتريشيا الى الكونستبل وقالت فى لهجـة تدل على التوسل :

ـ انه يعذبنى يا حضرة الكونستبل . أرجوك أن تدرك حرج مركزى . لو أنك أرسلتنى الى المخفر لحدثت فضيحة كبيرة .. لقد هدده القاضي فى المرة الاخيرة بأن يزجه فى السجن اذا حوكم مرة اخرى .

وصاح بريجو قائلا :

ـ اننى لست زوجك ! لقد سرقونى ! انهم يريدون أن يقتـلونى .

فهز لوبين رأسه فى أسف وقال :

أرأيت يا حضرة الكونستبل .. هذا هو ما ذكرته .. منذ ثلاثة أسابيع أطلق رصاصة طائشة على ساعى البريد لأنه

توهم أنه وضع له قنبلة فى صندوق البريد .

وجعل الكونستبل ينقل نظراته بين باتريشيا وزوجهـا المزعوم ولاح عليه الميل الى تصديق ما قالته هذه الفتـاة الظريفة ذات العينين الدامعتين :

وفى تلك اللحظة استطاع بريجو أن يتملص قليلا من ركبة لوبين فصاح قائلا ـ ألا تعرف هـذا الرجل ؟ انه « أرسلن » !! ..

ولم يكن بريجو يقصد طبعا أن يقول أن أرسين لوبين يدعى « أرسلن » ولكن هذا هو اللفظ الذى خرج من فمه لأن لوبين وضع يده على فمه وكتم الكلمة التى كادت تنطق منه وقال يخاطب الكونستبل

ـ اصفح عنه يا حضرة الكونستبل فانه وهو سكران ينطق بأقذع الشتائم .. ولا أستطيع أن أعيد على مسمعك الأوصاف التى نعت بها الطاهية عندما صور له الوهم أنها حشت له البطاطس بالزرنيخ .. لو أننى كنت قاضيا لأمرت بزجه فى السجن .. انه مجنون خطر .. نعـم .. انه مجنون ومكانه الوحيد هو ..

ولكن الكونستبل صاح قائلا : ما هذا ؟ !

واستقرت عيناه على شيء موضوع على مقعد السيارة .

ونظر لوبين الى حيث كان ينظر الكونستبل فوجد مسدسه موضوعا على المقعد اذ يظهر أنه سقط من جيبه أثناء العراك

الكونستبل (واشار الى باتريشيا) انه يعذبها عذابا لا يطاق وانى أسائل نفسي عما جعلها تتزوج هـذا المجنون .. ومع ذلك فانه يصبح شخصا آخر اذا ما أفاق من تأثير الخمر .. شخصا محترما لا يمكن ان يوجه اليه الانسان اى لوم .. وهو فى الواقع شخص محترم .. انه من كبار تجار الماس .. وهو الآن يساوى ما قيمته مائة ألف جنيه .. أى ما يساوى ما تستطيع أن تدخره من مرتبك فى مدة ثلاثمائة سنة على شرط أن تعيش على الهواء والماء .. الذى يوزع مجانا فى الحدائق العامة .

ومالت باتريشيا الى الكونستبل وقالت فى لهجـة تدل على التوسل :

– انه يعذبنى يا حضرة الكونستبل . ارجوك ان تدرك حرج مركزى . لو انك أرسلتنى الى المخفر لحدثت فضيحة كبيرة .. لقد هدده القاضي فى المرة الاخيرة بأن يزجه فى السجن اذا حوكم مرة اخرى .

وصاح بريجو قائلا :

– اننى لست زوجك ! لقد سرقونى أ انهم يريدون ان يقتـلوننى .

فهز لوبين رأسه فى أسف وقال :

اريت يا حضرة الكونستبل .. هذا هو ما ذكرته .. منذ ثلاثة أسابيع أطلق رصاصة طائشة على ساعى البريد لأنه

توهم انه وضع له قنبلة فى صندوق البريد .

وجعل الكونستبل ينقل نظراته بين باتريشيا وزوجهـا المزعوم ولاح عليه الميل الى تصديق ما قالته هذه الفتـاة الظريفة ذات العينين الدامعتين :

وفى تلك اللحظة استطاع بريجو ان يتملص قليلا من ركبة لوبين فصاح قائلا – الا تعرف هـذا الرجل ؟ انه « السنلنن » ! ! ..

ولم يكن بريجو يقصد طبعا أن يقول أن ارسين لوبين يدعى « السنلنن » ولكن هذا هو اللفظ الذى خرج من فمه لأن لوبين وضع يده على فمه وكتم الكلمة التى كادت تنطق منه وقال يخاطب الكونستبل

– اصفح عنه يا حضرة الكونستبل فانه وهوسكران ينطق باقذع الشتائم .. ولا أستطيع أن أعيد على مسـمعك الأوصاف التى نعت بها الطاهية عندما صور له الوهم أنها حشت له البطاطس بالزرنيخ .. لو أننى كنت قاضيا لأمرت بزجه فى السجن .. انه مجنون خطر .. نعـم .. انه مجنون ومكانه الوحيد هو ..

ولكن الكونستبل صاح قائلا : ما هذا ؟ !

واستقرت عيناه على شيء موضوع على مقعد السيارة .

ونظر لوبين الى حيث كان ينظر الكونستبل فوجد مسدسه موضوعا على المقعد اذ يظهر أنه سقط من جيبه أثناء العراك

الذى دار بينه وبين بريجو .

كان المسدس موضوعا على المعقد كأنما هو شاهد على تلك الأكاذيب المحبوكة التى صاغها لوبين .

وكان طبيعيا ان يكذب الكونستبل اقوال لوبين وان يكذب ما أوحاه اليه جمال باتريشيا هولم فلا يصدق الا شيئا واحدا هو هذا المسدس الفتاك .

وقال لوبين يجيب على سؤال الكونستبل :

هذا ؟ .. انه ليس مسدسا حقيقيا .. انه لعبة يلهو بها الأطفال وقد ربحناها فى اليانصيب الذى سحب الليلة فى المرقص .

وبسرعة البرق مال الكونستبل الى الأمام وادخل راسه فى السيارة وشم فم بريجو ثم رفع راسه فى لهجة صارمة:

– ان هذا الرجل ليس سكران ! .. انى لا اشم من فمه رائحة الخمر !

فتظاهر لوبين بالدهشة وقال :

– رائحة الخمر .. ! هل انت متاخر الى هذا الحد يا حضرة الكونستبل . الم يبلغك بعد نبأ الخمر الجديدة التى اخترعها احد الامريكيين .. انها خمر بلا رائحة .. ومن هذا النوع شرب صديقى الليلة .

فقال الكونستبل فى صوت جاف :

– هيا بنا الى المخفر وهناك يمكنك ان تتحدث كما تشاء عن هذا الاختراع الجديد .

لمس لوبين بيده كتف باتريشيا اذ راى ان السيارة التى كانت تسد الطريق قد بدأت تتحرك .

والتفت الى الكونستبل وقال :

– انى آسف ..

وفى الوقت الذى انطلقت فيه السيارة كان لوبين قد سدد الى فك الشرطى لكمة جعلته يتراجع الى الخلف وهو يكاد يسقط على الأرض .

وبدأ بين لوبين وبريجو عراك جديد .

ورأى لوبين أن يضع حدا لهذا العراك فتناول المسدس الموضوع الى جواره ووضع فوهته فى صدر بريجو وهو يقول :

– اياك أن تاتى بأية حركة والا افرغت مسدسي فى صدرك .. يجب ان تفهم انك لا يمكن أن تنجو من المشنقة الا بمساعدتى .. انك غريب في هذه المدينة ولا تعرف مخابئها وزواياها فاذا تركتك قبض عليك رجال البوليس .. فضع هذا فى ذهنك وكف عن المقاومة .. وهناك مسألة اخرى يجب أن تفهمها حق الفهم وهى انك لا تستطيع الفرار الا باستعمال جواز السفر وباستعمال التذكرة التى اعدها لك

البرمان .. والتذكرة والجواز فى جيبى الآن ولن اردهما لك الا حينما ارى انه لا مانع من سفرك .

الفصل السادس

بعد أن سمع بريجو هذ الكلمات من لوبين لم يحاول ان يبدى شيئا من المقاومة وانما جعل يتدبر هذه الحقائق ويديرها فى ذهنه .

حقيقة ان بريجو رجل لا يجيد التفكير ولكن هذه الحقائق كانت من الوضوح بحيث لا يمكن ان تستغلق حتى على مثل هذا الذهن الحافل بالغباوة وقلة الادراك .

واذا كان بريجو معتادا على أن يحل مشاكله باستعمال خنجره الا انه فى هذه المرة راى ان يحل مشكلته بالتفكير .

وكان التفكير واضحا .

انه حقيقة غريب فى هذه المدينة الكبيرة ولا يكاد يعرف فيها مخبأ فاذا لم يجد من يعينه على الانزواء انكشف أمره بسرعة واهتدى اليه رجال البوليس وقادوه الى السجن ومنه الى المشنقة .

أما لوبين فكان على العكس يعرف هذه المدينة حق المعرفة وله شهرة كبيرة فى تدويخ رجال البوليس والافلات منهم فاذا أعانه لوبين حقا على الفرار ضمن لنفسه النجاة .

وكان بريجو لا يجهل أن الماس الذى يخبئه هو ثمن هذه

النجاة ولكن فى وسعه أن يحل هذه المشكلة فيما بعد .

ولذلك التفت الى لوبين وقال : حسنا .. لن اقاوم ..

فكان جواب لوبين على هذا التسليم ان وضع مسدسه فى جيبه وان كان قد ابقى يده فى الجيب أيضا استعدادا للطوارىء .

ولما بلغت السيارة ميدان بركلى وهدات من سرعتها قليلا جعل بريجو يتلفت حوله فقال له لوبين يحذره .

– الوثوب من السيارة وهى سائرة ينطوى على خطر كبير فقد تصدمك سيارة اخرى آتية من الخلف .. وقد تنزلق على قشرة موز فتدق عنقك . وفضلا عن هذا فانك تعلم ان مسدسي فى جيبى وان لكمتى تصرع الثور بمناسبة الثيران الم تسمع قصيدتى التى نظمتها فى وصف ثور هائج ؟

فلبث بريجو صامتا لا يجيب . فهز لوبين راسه فى اسف وقال :

يظهر انه لا يحب الشعر .

ووقفت السيارة عند باب البيت فمال لوبين الى المقعد الامامى وقال :

– عندما قوطعت أيتها العزيزة كنت أريد أن اصف فمك .. انه بلا شك أجمل وأفتن فم رايته فى حياتى .. لا اكاد اراه حتى يستولى على شغف بتقبيله .. ان لك شفتين

جذابتين وابتسامتك فى إعتقـــــادى تدير الرؤوس حتى رؤوك النساك الزاهدين .

— ماذا ينبغى أن تصنع الان ؟

فتنهد لوبين وقال :

— يظهر أن بريجو لا يحب الشعر وانك انت لا تحبـين المغازلات ؟

وسكت برهة ثم أردف يقول :

— هل رآك مندوب المفتش تيل عندما غادرت البيت ؟

— نعم ..

اذن يجب أن يراك وانت تدخلين .. اما أنا وبريجـــو فسندخل من الممر السرى .

وهبط لوبين من السيارة يتبعه بريجو .. ولم يكن يتبعه بطبيعة الحال من تلقاء خاطره وانما خوفا من هذا المسدس الذى كان لوبين ممسكا به فى جيبه .

واستند لوبين بمرفقه الى باب السيارة وقال :

— أرجوك ياباتريشيا عندما انفرد بك ان تذكرينى بالقاء محاضرتى عن عينيك .. لقد فرغت من وصف شفتيك ولم تبق الا العينان .

فابتسمت باتريشيا وقالت :

— يتبع كما يقولون فى الروايات المسلسلة .

وانطلقت باتريشيا بالسيارة لتدخل الى البيت من بابه الأمامى الذى كان مندوب المفتش تيل واقفا عنده . على حين لبث لوبين مكانه يراقبها حتى توارت عن عينيه .

كانت هذه اللحظات من أجمــــل اللحظات فى تاريخ ارسين لوبين .

انه يحب باتريشيا هولم .. ويشتد حبه لها كلما أحدق به الخطر وتكاثرت حوله المهالك . فلا يطيب له التغزل فى فمها وعينيها الا وهو يعرف أن رجال البوليس يطاردونه وأن الدنيا بأسرها قائمة بسببه على قدم وساق .

جعل لوبين يستعيد الى ذهنــه صورة عينيها المتألقتين ووجنتيها المتضرجتين وابتسامتها الجذابة .

ثم تنهد والتفت الى بريجو قائلا ا هيا بنا !

وكان لوبين في هذه اللحظة على استعداد لأن يهــــزأ لا بالمفتش تيل وحده بل بعشرات من أمثاله .. لقد احتسي من عينى باتريشيا خمر الحب فهو الآن نشوان ثمـــل . وهذه النشوة كفيلة بأن تبث في نفسه القوة والجلد .

فاذا كان قد كافح العالم من قبل فهو اليوم أشـــد استعدادا للكفاح واذا كان قد تحدى جميع قوات البوليس فهو الآن أشد رغبة في التحدى والنضال .

ومن حسن الحظ أن بريجو مشي الى جانبه ساكنا مذعنا

فلو انه ابدى شيئا من المقاومة لامسك به لوبين ولسدد اليه لكمة تقتله قتلا .

وصعد لوبين الى المسكن الذى يشغله السائق ومن هناك ضغط الزر الخفى فانفتح الباب المفضي الى المنزل رقم ٧ بميدان باركلى .

والتفت لوبين الى بريجو وقال :

ـ هل عدت الى التفكير مرة أخرى ؟ انني أعلم انك تفكر الآن في أن تنقض على فتحطم على راسي هذه وتاخذ من جيبى جواز السفر ثم تفر هاربا . ولكنك مخطىء في هذا يا صديقى .

دفع بريجو الى الوراء دفعة قوية جعلته يصطدم بالجدار المقابل .

وتهيأ هذا للانقضاض على لوبين ولكن لوبين اخرج مسدسه من جيبه وصوبه اليه .

فابتسم بريجو وقال يتحداه : ـ انك لن تستطيع ان تطلق النار !

فقال لوبين في صوت هادىء :

ـ انك مخطىء في هذا أيها الصديق العزيز .. لا شيء يمكن أن يسرني كما يسرني اطلاق النار عليك .. انني لم اعتد ان اسفك دما .. ولكن هناك دماء يجب أن تسفك ومنها دمك .. واذا كنت تعتقد اني اخشي ان يجلب لى

دوى الرصاص المتاعب فانت مخطىء في هذا ايضا .. ان في هذا المسدس ست رصاصات .. والثلاث الأولى منها منزوع نصف حشوها من المادة المفرقعة ففى هذه الحالة لن يكون لها الا دوى خافت لا يسمعه من في الطريق لا سيما وان جدران هذه الغرفة سميكة جدا .

وسكت لوبين برهة ثم قال :

ـ يلوح لى انك تعتقد انى أخدعك واضللك .. فما عليك اذن الا ان تجرب .. انى أتحداك وامنحك فرصة التجربة.. وحسبك أن تتقدم خطوة واحدة لتنطلق الرصاصة من المسدس فتستقر الرصاصة في قبعتك . خطوة واحدة .. هيا تقدم فانى في انتظارك .

وتقدم بريجو الخطوة المنتظرة .

وضغط لوبين على الزناد وانطلقت الرصاصة . وكان دويها لا يكاد يزيد على الدوى الذى يحدث عند ازالة سدادة زجاجة الشمبانيا .. وفي نفس اللحظة طارت قبعة بريجو عن راسه واستقرت على الأرض .

وبان الذعر في عينى بريجى فقال له لوبين :

ـ انك تعلم انى لا اريد ان أقتلك اذ انني في حاجة اليك .. ولكنني لا اجيد اصابة الهدف ومن المحتمل المرة القادمة ان تطيش الرصاصة فتستقر في راسك بدلا من قبعتك .. وبهذه المناسبة ترى ما هو مصيرك ؟ لا اظنهم

يرضون بدخولك الى السماء كما انني أعتقد أن أهل الجحيم لا يحبون ان يتخذوك زميلا لهم لأن سحنتك لا تعجبهم .

فقاطعه بريجو في صوت يدوى كالرعد :

ـ خبرني .. ماذا تريد مني ؟

فابتسم لوبين وقال في صوت وديع :

ـ انك تعرف من أنا . فاذا كنت قد نسيت فاعلم اذن انني ارسين لوبين .. وطريقتي واحدة لا تتغير .. ان رجال البوليس يطاردونك ويريدون ان يقبضوا عليك وقد انقذتك منهم .. ولهذا الانقاذ ثمنه .. فيجب أن تدفع الثمن .

فقال بريجو :

ـ ماذا تقصد ؟

ـ ساشرح لك قصدى في كلمة وجيزة . انني اريد الماس الذي معك .. وفي مقابل ذلك لن اسلمك للمفتش تيل .. فاذا كنت تعتقد انني لن أتمكن من الاستيلاء على الماس فانت اذن لا تدعى بريجو وانما اسمك هو المغفل .. المغفل الاكبر .

وصاح بريجو :

ـ انك تهذى ؟

فقال لوبين :

ـ بل انت الذي تهذى .. والآن هيا بنا الى الغرفة التى اعددتها لك خصيصا .

ونزل الرجلان الى الردهة ففتح لوبين بابا فيها . بدت خلفه بضع درجات نزلاها وضغط لوبين زرا في الجدار انكشف عن باب سرى وكان هذا الباب متصلا بغرفة لا تتسع الا للفراش الموضوع فيها .

وقال لوبين :

ـ ان هذه الزنزانة مشيدة في الجدار .. فيمكنك ان تقضي فيها الوقت وانت مطمئن الى أن رجال البوليس لن يعثروا عليك .. وثق انك لن تموت اختناقا لانها مزودة بوسائل التهوية الضرورية .

فقطب بريجو جبينه وقال :

ـ ومتى تخرجنى من هذه الزنزانة ؟

فاجابه لوبين بقوله :

ـ غدا .. ان لديك بضع مجلات يمكنك ان تتسلى بالقراءة فيها حتى اخرجك من محبسك .. ولديك في هذا الدولاب الصغير حاجتك من الطعام وسآتيك في الصباح بطعام الفطور . فلن تموت جوعا .

واوصد لوبين باب الزنزانة وصعد .. وفى نفس اللحظة سمع رنين جرس خاص يدق في أعلى السلم . وكان يعلم

ان هذا الجرس انذار تنبهه به باتريشيا هولم الى قدو
المفتش تيل .

وكان لوبين لا ينوى بطبيعة الحال أن يقابل تيل فى مسكن السرى ولذلك رجع من خلال الممر السرى الى المنزل ال كان رجال البوليس السرى يحرسون بابه .

وقالت له باتريشيا :

ـ لقد جاء المفتش تيل .

ـ حسنا .. انى على استعداد لاستقباله .

وخلع جاكتته وارتمى على المقعد واشعل سيجارته ومض يدخن في هدوء .

وكانت باتريشيا جالسة على مقربة منه وهى تصقل اظافرها وقد ارتدت ثوبا يشف عن محاسنها .

وجعل لوبين يتأملها برهة ثم قال : يا عزيزتى ان ..

ولكنها قاطعته باشارة من يدها وقالت في لهجة جدية :

ـ اصغ الى يا عزيزى . اننى لم احاول من قبل ان اوجه اليك سؤالا ولكن اظن انه ليس هناك مجال للتردد.. ما هى الطريقة التى ستخرج نفسك من هذه الورطة ؟ هل ستثبت للمفتش تيل انك كنت موجودا فى أمريكا اثناء وقوع هذه الحوادث ؟

فابتسم لوبين وقال : يجوز !

فنمت عيناها عن القلق وقالت :

ـ اموقن أنت من انك لست في ورطة حرجة ؟

ـ بل انى موقن من أنى في ورطة حرجة .. والخسارة الكبرى التى سأكابدها هى أن المفتش تيل سيعرف الآن ان هناك منفذا سريا أستعمله في خروجى ودخولى دون أن يشعر بى ذلك الغبى الذى أوقفه تيل رقيبا عند الباب نعم ستتمخض هذه الحوادث عن متاعب كثيرة .. ولكننى انا الذى طلبتها وأوصيت عليها !

ـ وما العمل اذن ؟

فوضع لوبين يديه على كتفى الفتاة ونظر في عينها وقال :

ـ نعم .. ما العمل اذن ؟

ثم هز راسه وابتسم قائلا :

ـ ماذا دهاك يا فتاتى ؟ هل سبق لك يوما أن رايتنى وقعت في ورطة ولم أخرج منها ؟

فهزت باتريشيا راسها وقالت :

ـ كلا ..

ـ هل رايت مرة اننى أقدمت يوما على عمل دون أن اعرف المخرج منه ؟

ـ كلا ...

- اذن فاطمئني .

فقالت باتريشيا في صوت كله اطمئنان ويقين :

- انى مطمئنة .

ودق جرس الباب في هذه اللحظة !

ولم يحفل لوبين برنين الجرس وانما جعل يحدق في عي
الفتاة وهو يقول :

- أيمكنك أن تتصورى يوما أن تيل أو من هو اعظم
تيل يستطيع أن يقبض على ؟

فهزت الفتاة رأسها نفيا وقالت :

- كلا .. انى لا استطيع ان اتصور ذلك .

واجتذبها لوبين الى صدره وطبع على شفتيها قبـ
عميقـــة !

ورن جرس الباب للمرة الثانية .

واومأ لوبين الى الباب وقال :

- خلف هذا الباب رجل ذو كرش ضخم ولا رجاء له
حياته الا ان يقبض على .. وسأقابله الآن لأبرهن له على
الصعود الى القمر اهون ألف مرة من القبض على ارس
لوبين !

ومشي لوبين الى الباب وعلى شفتيه ابتسامته السا
الحافلة بالتهكم وعيناه تشعان بالجرأة والرغبة في النض

الفصل السابع

كانت باتريشيا هولم جالسة في قاعة الاستقبال تطالع كتابا حين دخل المفتش تيل يتبعه أرسين لوبين .

وطوت باتريشيا الكتاب ونظرت الى المفتش .

وكان تيل قد اســـتطاع أن يخفى غضبه وثورته خلف ستار من الهدوء وان كان صدره يغلى كالمرجل .

وزاد في هياجه ما رآه من استخفاف لوبين وما يبـدو على وجهه من امارات التحدى وقلة الاكتراث .

وقال تيل في صوت خافت :

- ارجو الا يكون قدومى قد ضايقكما .

فتمتم لوبين يقول :

- كلا مطلقا .. انك تعرف اننا نستقبلك بكل ارتياح في جميع الأوقات اتريد قدحا من البيرة ؟

وكان المفتش تيل يعرف أن ارسين لوبين لا يعرض عليه قدح البيرة الا اذا كان يبيت له فخا يوقعه فيه لكى يهزأ منه ويضحك عليه .

ولذلك لم يكد يسمع هذه الدعوة حتى هاجت ثائرته . ولكنه بذل جهدا عظيما في ضبط اعصابه واخذ يجيل بصره في ارجاء الغرفة ولكنه في الوقت ذاته كان ينظر الى لوبين من جانب عينه فيقرأ في قسمات وجهـــه دلائل المعركة التاليـــة .

وقال لوبين :

ـ اجلس يا تيل .. وحدثنى بما يجول في نفسك فاننى ارى ان في دماغك شيئا .

فقال تيل :

ـ وكيف تعرف أن في دماغى شيئا ؟

ـ اننى اعرف انك تريد ان تقبض على .

فتفرس المفتش تيل في لوبين برهة ثم قال :

ـ وكيف عرفت انى اريد أن اقبض عليك ؟

فضحك لوبين ضحكته الهازئة المعهودة وقال :

ـ وهل يمكن ان اجهل ذلك وقد كنت معك منذ ساعة وسمعتك بنفسي تقول لى ذلك ؟

فقال المفتش تيل في لهجة تدل على الانتصار :

ـ اذن فانت تعترف انك الذى كنت تحادثنى في منزل اليهودى البرمان ؟

ـ انى اعترف بذلك .. ولكن فيما بينى وبينك !

ـ لقد سألت الشرطى الواقف بالباب فاقسم لى انك لم تغادر البيت فهل هناك ممر سرى ؟

فهز لوبين راسه نفيا وقال : ليس هناك ممر سرى .
فقطب المفتش تيل جبينه وقال : ماذا تقول ؟

ـ أقول انه ليس هناك ممر سرى وانما هنـــاك ممرات سرية لا حصر لها .

ـ واين بريجو ؟

ـ انه يلعب « النطة » .

واغمض المفتش تيل عينيه وشعر بانه يكاد يفقد السيطرة على اعصابه وبانه يوشك ان يرتكب نفس الحمـــاقة التى ارتكبها من قبل فيندفع هائجا ثائرا فلا يقابل لوبين هذه الثورة الا بوخذات هادئة تزيد في هياج المسكين .

وقال المفتش تيل :

ـ انك ساعدت بريجو على الهرب .. أليس كذلك ؟

وقد نطق تيل بهذه الجملة في صوت حاول أن يجعـــله هادئا ولكنه كان يدل دلالة واضحة على الثورة التى تضطرم في نفسه .

واستطرد المفتش تيل قائلا :

ـ انك تعترف اذن بانك خرقت القانون باعتدائك على رجال البوليس وبمساعدتك قاتلا على الفرار وبذلك اصبحت شريكا له ؟

ولبث لوبين صامتا فقال له تيل :

ـ اجب .. اتعترف بذلك ؟

فقال لوبين مجيبا :

- انى أعترف بذلك ما دمنا بين هذه الجدران الاربعة .

فانتفخت أوداج المفتش تيل ورفع رأسه وقال في صوت صارم :

- انى اذن اقبض عليك يا ارسين لوبين باسم القانون !

فقال لوبين في لهجة كلها توسل وضراعة :

- ارجوك الا تقبض على .. ارجوك ان تعفو عنى في هذه المرة انى رجل مسكين واستحق رحمتك !

وكان المفتش تيل يعرف أن هذه اللهجة الهازئة تخفى وراءها مكيدة من مكائد لوبين التى لا تفرغ .

ودنا لوبين من الطاولة وفتح صندوقا موضوعا فوقها واخرج منه شيئا لم يره المفتش تيل ثم صاح قائلا :

- ان هذه القنبلة ستخلصنى منك الى الأبد !

وطوح بيده فطار منها الشيء الذى اخرجه من الصندوق .. وتراجع المفتش تيل الى الوراء في ذعر وخوف .

ولكن هذا الشيء لم يكن قنبلة .. وانما كان سيجارة قذفها الى أعلى ثم تلقاها بفمه وهو يقول :

- انها لعبة ظريفة . فهل تحب ان أعلمها لك ؟

وتكلم المفتش تيل في صوت مختنق فقال : لماذا ؟

فقال لوبين مجيبا في بساطة :

- لكى تسلى بها نفسك في أوقات فراغك .

فصاح تيل قائلا : لست أسألك عن هذا وانما اردت ان اقول لماذا لا اقبض عليك ؟

فجلس لوبين على حافة المنضدة واشعل سيجارته وجذب منها بضعة انفاس ثم قال :

- انك لن تقبض على يا تيل لأن الاعتراف الذى ادلى به اليك بين هذه الجدران الاربعة سيكون مختلفا تمام الاختلاف عن الاعتراف الذى افضي به وانا واقف على منصة الشهود في دار المحكمة .

فصاح تيل مزمجرا :

- اذن فانت تنوى ان تشهد زورا .. لقد كنت انتظر منك يا لوبين شيئا خيرا من هذا .. الم تجد ما يخرجك من ورطتك الا شهادة الزور ؟

فابتسم لوبين وقال : لا تيأس يا تيل فقد وجدت شيئا آخـــر .

فهز تيل كتفيه في استخفاف وقال : اذا كنت تريد ان تضيف شهادة الزور الى قائمة التهم المعلقة في عنقك فهذا شانك أنت .

ومال لوبين الى الأمام والتمعت عيناه بذلك البريق الملتهب الذى يدل على النضال شأن النمر اذا تهيـــأ للوثوب على فريسته .

واخيرا تكلم في صوت رنان :

– تيل .. هل تعتقد حقا انك استطعت اخيرا ان تظفر بى ؟

– انى اعتقد ذلك .. وساظل اعتقد ذلك .

فابتسم لوبين وقال .

– اذن فانت تعتقد ان اليوم العظيم قد حل وان الحلم الذى ظللت تتعلل به سنوات بعد سنوات وشيك بأن يتحقق

– طبعا .

فهز لوبين راسه فى شيء من الأسي وقال :

– هذا شيء يؤسف له يا تيل . لقد كنت أظنك عاقلا .

فعض تيل على شفته وكظم ثورة الغيظ التى اضطرمت فى نفسه ولكنه قال فى صوت متهدج : – انى انتظر ان اسمع ايضاحك .

ونهض لوبين واقفا وهو يقول : حسنا .. فليكن .

وكانت في صوته نبرة تدل على الوعيد والتهديد .. نبرة يعرفها تيل حق المعرفة ويحسب لها حسابا كبيرا .

واسترسل لوبين قائلا : – فليكن .. سافضي اليك بالايضاحات التى تريدها .. انك تريد أن تضع على راسك اكليل الفخار بالقبض على .. وقد مضت سنوات وانت تبذل قصارى جهدك في الحصول على هذا الاكليل .. وقد

ظننت اليوم أن الأمر قد دان لك .. انك ستقبض على ارسين لوبين بتهمة لا يستطيع ان يفلت منها .. انك تعلم حق العلم أن التهم الموجهة الى لاعد لها ولا حصر . ولكنك لا تجد عليها اى دليل فما أن رأيتنى اعتدى على رجال البوليس وانقذ قاتلا من بين أيديهم حتى وجدت في هذا فرصتك النادرة للقبض على ..

فقال تيل مقاطعا : ولكننى لن اكتفى بتوجيه هذه التهمة اليك .

– وهل تعتقد يا تيل انى ساتركك حتى توجه الى هذه التهمة او سواها ؟ ان لدى دليل نفى لا يمكنك ان تهدمه .

فقال تيل في لهجة تنطوى على السخرية :

– حقا ؟ بودى اذن أن اسمع هذا الدليل .

– لقد كنت مع نفر من اصدقائى عددهم عشرة نتناول العشاء . وانى أراهنك على انك لن تستطيع ان تثبت اننى كاذب في هذا القول .

فتطاير الشرر من عينى المفتش وقال : أتظننى ولدت بالأمس ؟

فقال لوبين في لهجة جدية : – كلا بالطبع .. انى أعلم انك لم تولد بالأمس ولا قبل الأمس .. فاحمر وجه المفتش تيل واراد ان يتكلم ولكن صوته اختنق في صدره لفرط انفعاله .

فلما آتاه الكلام صاح قائلا : تكلم .. ماذا تريد ؟

فابتسم لوبين وقال : لا اريد شيئا .. وكل ما هنـ...
اننى اعددت دليل النفى المعتاد الذى سيخرجنى من هذ...
الورطة .. فهل يعجبك ؟

فصاح تيل يقول في لهجة غاضبة :

– دليل نفى ! . ان لدى ستة من رجـــال البولـ...
يشهدون بأنهم راوك في بيت البرمان .. ولكن اصدقا...
العشرة يستطيعون طبعا ان يهدموا هذه الشهادة لأن عدد...
اكثر من عدد شهودى .. وبالله عليك أين تناولتم العشا...

– في البيت المجاور لهذا والذى يتصل به بممر سر...
لا تعرفه انت .

فصاح المفتش تيل قائلا :

– وهل تنوى ان تنكر فيما بعد وجود هذا الممر .

– ولماذا انكر وجوده ؟ ان وجود الممرات السرية ليـ...
جريمة يعاقب عليها القانون .

– وهل هذا هو دليل النفى الذى تريد أن تعاكسنى به...
فقال لوبين في لهجة ودية :

– ان هذا هو الذى سيقضي عليك .. انه سيسحقـ...
سحقا تماما .

– حقـــا ؟

ونطق تيل بهذه الجملة فى لهجـــة داوية غاضبة .

واطفأ لوبين سيجارته ووضع يديه في جيوبه ثم وقف امام البوليس السرى وعلى شـــفتيه ابتسامته التهكمية اللاذعة وقال في صوت رقيق :

– اصغ الى ياتيل .. انك تعلم حق العلم أن ارسين لوبين لا يمكن ان يقدم على اية جريمة الا اذا اعد لها من ادلة النفى ما يهدم الاتهام من أساسه .. وها انذا اكشفك على اسرارى واريك المخابىء السرية المزود بها هذا البيت .. وفي هـــذا بطبيعة الحال خسارة كبيرة اتكبدها اذ معنى ذلك انى مضطر الى ان اتخذ لنفسي مسكنا غير هذا ازوده بمثل هذه المخابىء التى تنفعنى حين الحاجة .. فهلا ترى في ذلك ما يصرفك عن محاولة اعتقالى ؟

– كلا بالطبع .

– وهل تعتقد ان لشهادة رجالك اية قيمة الى جـانب شهادة اصدقائى الذين سأقدمهم .. ان من هؤلاء الأصدقاء أربعة من اللوردات وثلاثة من كبار الضباط وثلاثة من وكلاء الوزارات واعضاء البرلمان .. فهل هناك محكمة تأخـــذ بشهادة رجال البوليس وترفض شهادة هـــؤلاء السادة المحترمين المبجلين ؟

فصاح المفتش تيل قائلا : ولكن شهادتك ستكون زورا .

فابتسم لوبين فى رقة وقال : انى اعلن انها شهادة باطلة ولكن هل تستطيع انت أن تثبت ذلك ؟

- وما الذى يجعلهم يشهدون زورا ؟
- وهل تجهلنى يا تيل حتى توجه مثل هذا السؤال ؟ انى أعلى من اسرارهم ما هو كفيل بأن يذهب بهم الى السجن فهم يتقون شرى بتنفيذ رغباتى ومطالبى ومنها شهادة الزور .. فمن هذا ترى يا تيل ان اثبات التهمة على امر مستحيل فلا شك اذن أن الرجل الذى هرب بريجو واعتـــدى على رجال البوليس انما هو شخص غيرى ينتحـــل شخصيتى ويتسمى باسمى فاذا اثبت ذلك فى تقريرك لم يكذبك احد ووفرت على نفسك مؤونة تفنيد شهادتك فى المحكمة .

فقال تيل فى صوت غاضب : اتريد من ان اكذب ؟

- لكى تنقذ سمعتك .. وانك تعلم ان هذا حدث فعلا من قبل حين انتحل احد المجـــــرمين اسمى وارتكب جرائم نسبهـــا الى .

- انى لا اريد أن اعرف ما حدث من قبل وانما اريد ان اعرف ما سيحدث الان .. هيا اذكر لى اسماء اصدقائك العشرة لأقدمهم معك الى المحاكمة بتهمة شهادة الزور .

فابتسم لوبين ابتسامة ظريفة وقال :

انك لن تفعل شيئا من هذا لأننى فى هذه الحالة ..

ومد لوبين اصبعة لينخس كرش المفتش تيل ولكن هذا رد يده وهو يصيح قائلا : لا تفعل هذا .

فضحك لوبين وقال : انى احب دائما ان انخس كرشـك

الا يسرنى ان اراه يرتفع وينخفض كانه كرة من المطاط .. كرة ضخمة طبعا .

فقال تيل : دع كرشي الان وحدثنى عما تنوى ان تفعل اذا قدمتك وشهودك الى المحكمة .

فقال لوبين فى بساطة : فى هذه الحالة سأتهمك بالرشوة واستغلال نفوذ سلطة منصبك لابتزاز المال منى .

وكان لوبين يتكلم فى لهجة جديدة يعرف تيل حق المعرفة ان خصمه لا يستعملها الا اذا كان واثقا من مركزه :

وحملق تيل فى وجه لوبين واحمر وجههغضبا عند سماعه هذه الكلمات ولكنه ما لبث أن نظر الى صاحبه فى شيء من الشك وقال له :

- هل جننت يا لوبين ؟

- كلا .

- اذن ما هذه الاقوال التى تهذى بها ؟

- ومن الذى رشانى من فضلك ؟!

- انا طبعا .

- انت ؟ - طبعا

واشعل لوبين سيجارته واخذ يدخن فى بط ثم قال :

- الم تطلع اخيرا على كشف حسابك فى البنك ؟ يحسن بك اذن ان تطلع على حسابك فى صباح الغد لتعلم انك قد

اخذت منى فى خلال الستة الأسابيع الماضية الف جنيه .. منها مائتان فى ١٦ فبراير ومائة فى ٦ مارس ومائتان فى ١٥ مارس وثلاثمائة فى ٢٠ مارس ومائتان فى أول ابريل . وهذا بخلاف مبالغ صغيرة مختلفة أخذتها منى فى خلال الثلاثة الشهور الماضية .. فاذا أطلع مندوب المحكمة على حسابك عرف على الفور أن هذه المبالغ دخلت حسابك وانى انا الذى أودعتها وانت تعلم بطبيعة الحال أن الرشوة عقبتها السجن .

فصاح المفتش تيل قائلا :

ـ ساقول للمحكمة انك أودعت هذه المبالغ فى حسابى على غير علم منى .

ولكن كشوفات الحساب كانت ترسل اليك بانتظام فلماذا لم تتصل بالبنك لتستوضحه السبب فى زيادة رصيد حسابك الف جنيه ؟

ـ لأن البنك لم يرسل الى كشوفات الحساب مطلقا .

ـ بل ارسلها ..

ـ ولكنها لم تصلنى !

ـ هذا لاننى كنت اسرقها قبل أن يحملها اليك الخادم ... اعنى ان خادمك هو أحد أعوانى .. خادمك بيتر الذى استقال من عمله بالأمس بعد أن انتهت المهمة التى كلفته بها وهى سرقة كشوفات الحساب الواردة اليك من البنك قبل

اطلاعك عليها .. ومعنى هذا يا عزيزى تيل ان ارسين لوبين رشاك بألف جنيه اودعها لحسابك فى البنك وان هذا كان باتفاق بينكما لأنك لم تعترض على صحة الحساب على الرغم من أن الكشوفات كانت ترسل اليك بانتظام .

وادرك تيل خطورة الموقف وعرف انه لن يستطيع ان ينفى هذه التهمة عن نفسه اذ انى له ان يثبت ان الكشوفات لم تصله وانها سرقت قبل ان يطلع عليها .

صاح المفتش تيل في لهجة حانقة :

ـ انت فعلت هذا ؟ انت فعلت هذا ؟

فنفث لوبين من فمه حلقة كبيرة من الدخان وقال فى صوت هادىء :

ـ نعم اننى انا الذى فعلت هذا .. انها فكرة نيرة من افكارى العظيمة فهل تعجبك .. يجب أن تذكر دائما يا عزيزى تيل أن دماغ أرسين لوبين كجراب الحاوى لا يمكن أن يفرغ ما فيها من المفاجآت والمكائد .. وصدقنى ان هذه المحاكمة ستكون من اظرف المشاهد التى رآها الجمهور منذ سنين .. ارسين لوبين والمفتش تيل يقفان فى المحكمة وجها لوجه .. تيل يقول انك يا لوبين لكمتنى فى وجهى واسلت الدموع من عينى .. ولوبين يرد على هذا بقوله : انى اعترف حقيقة بانى لكمتك والسبب فى هذا انك طلبت منى أن ارشوك بألف جنيه أخرى غير الألف السابقة فلما

رفضت هددتنى بالقبض على فثار غيظى ولكمتك .. وعند ذلك سيقول تيل انك أنت الذى اودعت الألف جنيه فى حسابى دون طلب منى .. فيرد عليه لوبين بقوله : بل فعلت ذلك بناء على أمرك والدليل انك لم تعترض على صحـــة الحساب .. وعند ذلك لن يتكلم أرسين لوبين ولن يتكلم المفتش تيل ، وانما سيتكلم المحلفون وسيقولون : اذهبوا بالمفتش تيل الى السجن فانه مرتش اثيم .. نعم يا عزيزى تيل ستكون هذه المحاكمة من اظرف المحاكمات فيها أتخـذ الاجراءات التى تريدها حتى يستمتع العالم بتفاصيل هـذه المحاكمة الطريفة .

وكان المفتش تيل يصغى الى هذه الكلمات وهو صامت لا يتكلم وقد احس بما يشبه طعنة الخنجر .. وكانت نظرات لوبين الساخرة واقواله التهكمية اللاذعة أشبه فى الواقع بطعنات الخناجر .

وكان تيل يعلم حق العلم أن هذه المكيدة التى دبرها لوبين كفيلة بأن تقضي على مستقبله قضاء تاما فاذا فرض واستطاع ان يثبت أن لوبين كاذب فى ادعائه (وذلك بعيد الاحتمال) فانه لن يستطيع على اى الأحوال أن ينفى الجو المحيط به ولن يستطيع أن ينفى الشبهات التى لا بد ان تثيرها هـذه المحاكمة قد برأه القضاء ولكن الشبهات ستظل عالقة به مدى الحياة .. وسيضطر بطبيعة الحال الى الاستقالة من عمله .. ولو انه كان في مقتبل العمر وفى وسعه أن يجد بابا

جديدا للرزق لما حفل باعتزال منصبه .. ولكن الأمر يصبح مختلفا ما دام قد اشرف على الستين .

وهكذا وجد تيل نفسه مرة اخرى مهزوما امام هـــذا الشيطان الذى يعرف كيف يتخلص من احرج المواقف .. كم من مرة خيل اليه فيها أن لوبين قد صار فى قبضته تحت رحمته .. ولكن الأمر لا يلبث أن ينقلب فى لحظة واحدة فاذا هو المهزوم المقهور !

وعاد لوبين يقول فى لهجته الساخرة :

ـ هيا يا تيل اقبض على واتخذ الاجراءات التى تريدها !

ولكن الاجراء الوحيد التى اتخذه تيل هو انه دار على عقبيه ومشي الى الباب وغادر البيت دون أن ينطق بكلمة واحدة .

وشيعه لوبين بقوله : ـ الى اللقاء يا عزيزى تيل .. انى أدعوك لتناول العشاء معى غدا وعقب ذلك بضحكة ساخرة جعلت تيل يكاد ينفجر غيظا .

الفصـــل الثامن

بعد أن انصرف المفتش تيل التفتت باتريشيا هولم الى ارسين لوبين فهز لوبين راسه وقال مجيبا :

ـ كلا .. لم اكذبه القول .. لقد كنت اتوقع ان تنشب بينى وبين تيل معركة من هذا القبيل فرايت أن اتهيأ لهـا

بتدبير هذه المكيدة .. واذا حدثته نفسه بأن يقبض على مرة اخرى وجد فى انتظاره عشرات من المكائد . كلا منها كفيلة بأن تجعله يصاب بالبكم .

وابتسمت باتريشيا وقالت :

ـ الحق ان الشفقة ادركتنى عليه فقد بدا عليه أن العمر تقدم به عشرة أعوام .

فضحك لوبين وقال :

ـ هذا اعظم يوم استمتعت فيه بالتفرج على تيل وهو يتركنى مدجورا مقهورا .. يخيل الى انه كان وشيكا بان يجـــن .

وترك لوبين فتاته وهو يقول :

ـ انى متعب جدا واريد ان انام .

وصعد الى الطابق الاعلى فخلع ثيابه وارتمى على الفراش وما لبث أن استغرق فى النوم . ولما لحقت به باتريشيا بعد دقائق وجدته يغط فى نوم عميق .

ولكنه استيقظ على حفيف ثوب فلما ملك وعيه تماما خيل اليه تماما خيل اليه انه يسمع باب الغرفة وهو يوصد ففتح عينيه وادار بصره فى أرجاء المكان واستطاع ان يتاكد من ان ليس فى الغرفة أحد .

ونظر الى ساعته فوجدها تدل على السابعة صباحا . وحانت منه التفاتة الى جهاز موضوع على الجدار المقابل

عبارة عن منبه تنبعث منه اشعة خاصة تبعا لحركات اى شخص يكون موجودا في البيت المجاور ويصحب هـــذه ومضات رنين جرس خافت موضوع تحت الوسادة .

وكان الشيء الذى دهش له لوبين ان الجرس كان يدق باستمرار فى حين أن الجهاز لم يكن يرسل ومضاته المعتادة

وقطب لوبين جبينه مفكرا وعلى حين بغتـــة ذكر بريجو المحبوس فى الزنزانة فوثب على الفور من فراشه واسرع يضغط الزر الذى يضيء الممر السرى .

ورأى عند قدميه بقايا عود من الكبريت فهز راسه وقد فهم ما حدث .

لقد استطاع بريجو ان يهرب من الممر السرى .

كان بريجو يحمل معه خنجرا وقد غفل لوبين عن أن يجرده منه فظل هذا طوال الليل وهو ينقب الجدار حول البـــاب بخنجره حتى استطاع ان يحدث فيه فجوة انسل منها هاربا فى الوقت الذى كان فيه لوبين يغط فى نومه .

وانطلق لوبين الى البيت وهو يمشي على اطراف اصابعه. وحين بلغ رأس السلم رأى شبحا يتحرك فى الردهـــــة فصاح به :

ـ قف مكانك .. انك لن تفلت منى .

ووثب الشبح محاولا الفرار ولكن لوبين هبط الدرجات فى قفزة واحدة واستقر على كتفى الهارب فسقط الاثنان على الأرض وأخذا يتدحرجان وهما يتصارعان .

واستطاع لوبين باحدى يديه أن يقبض على عنق بريجو وان يطرحه أرضا .

ولكنه فطن فجأة الى أن بريجو ممسكا بخنجــره وانه يوشك أن يغمده فى صدره فتراجع لوبين الى الخلف وتفادى الضربة المسددة الى قلبه .

وقبل أن يتمكن من استعادة موقفه كان بريجو قد ضربه بقدمه فى بطنه ضربة قوية آلمته بشدة وجعلته يسقط على الأرض متوجعا .

وفى نفس اللحظة سمع لوبين صوت الباب الخارجى وهو يوصد وراء بريجو ولم يستطع أن يلحق به لأن الامه كانت شديدة لا تطاق .

ولبث لوبين مكانه بضع دقائق لا يقوى على النهوض فلما تمالك قوته نهض واقفا وأخذ يجول فى البيت ليعرف ماحدث فرأى الفجوة التى نقبها بريجو فى جدار الزنزانة .

ورجع لوبين الى مخدعه ونظر الى جاكتته فلم يجدها فى الموضع الذى تركها فيه فلما بحث عنها وجدها فى الردهة على مقربة من الباب .

لقد اغتنم بريجو فرصة نومه وانسل الى المخدع فأخذ جاكتة لوبين وخرج بها الى الردهة ففتشها وعثر فى جيوبها على جواز السفر وعلى التذكر التى كان قد أعدها له اليهودى البرمان .

وهز لوبين رأسه وقال فى نفسه :

ـ هذه أول مرة يتغلب على فيها انسان .. ولكننى لن اتركه يفلت منى ان بريجو عزيز على فلا بد أن اكشف مقره واستولى على الماس الذى يحمله .

ولكن الأوجاع التى كان يشعر بهـا بسبب تلك الضربة القوية التى نالها فى بطنه جعلته يصعد الى فراشه لينـام مرة أخرى علّه يجد فى النوم بعض الراحة .

ورأى لوبين فى نومه حلما غريبا : كـان يركض بأقصى سرعته لكى يلحق ببريجو . ولن باتريشيا هولم كانت تعترض سبيله محاولة أن تعوقه عن اللحاق بغريمه . وكان الشقى كلما مشي خطوة التفت الى الوراء وأشار الى لوبين اشارات تدل على التهكم وكان بريجو مرتديا ثوبا مضحكا كالذى يرتديه المتوحشون ولكنه كان فى الوقت ذاته يزين عنقه بقلادة نفيسة من الماس النادر .. ثم تغير المنظر وظهر المفتش تيل راكبا نعامة وكان يضحك ويقول للوبين :

« اننى انا الذى سأهرب منك على ظهر النعامة لا أنت »

وعند ذلك استيقظ لوبين من نومه ولمـا نظر الى ساعته وجد أنها أشرفت على التاسعة .

فزايل فراشه واشعل سيجارة ثم ارتدى ثيابه وبعد عشر دقائق كان يدخل قاعة الطعام ليتناول الفطور فوجد هناك باتريشيا هولم تطالع احدى الصحف .

وقال يخاطب الفتاة : لقد تركنا بريجو .

فحملقت الفتاة فى وجهه دهشة وقالت : تركنا ؟

فضحك لوبين وقال :

— ولكننى اعرف مكانه وسالحق به .. لقد نسيت ان أجرده من خنجره فقضي الليل باكمله ينقب الجدار فلما انسل من الزنزانة صعد الى مخدعى واخذ من جيبى جواز السفر وتذكرة الباخرة الخاصين به .. وسالحق به الان على ظهر الباخرة .. انها تغادر الميناء فى الساعة العاشرة .
فقالت باتريشيا تسأله :

— وكيف عرفت انه سيكون على هذه الباخرة ؟

— هذا هو ما ينويه بلا شك والا لما جشم نفسه مؤونة الدخول الى مخدعى والاستيلاء على التذكرة مع مافى دخوله من الخطر ان بريجو غريب عن لندن فلا بد له أن يعود الى امريكا لأنها بلده وهناك يستطيع يتخلص من الماس والتذكرة التى اعدها له البرلمان . وبريجو لا يجهل انى أشتغل بمفردى ولا استعين برجال البوليس ولذلك سيعتقد انى ن أتحرش به علانية ولكى يتقى هجومى سيختار بطبيعة الحال مكانا مزدحما يجلس فيه حتى أصبح عاجزا عن الاشتباك معه .

فقالت باتريشيا معترضة :

— وما فائدة الاشتباك ما دمت لا تعرف مخبأ الماسات المهربة ؟

فابتسم لوبين وقال فى صوت هادىء :

— بل انى اعرفه !

فبانت الدهشة فى عينى الفتاة وقالت :

— وهل استوليت على الماس ؟

فهز لوبين راسه نفيا وقال :

— كلا .. لم احصل عليه بعد .. عندما كنت فى بيت برادور لاحظت ان سترة بريجو غير متناسقة فاستنتجت من ذلك انه يلبس جاكتة فرانك هومر لأن الماس مخبأ فى بطانتها ففتشت الجاكتة بدقة دون أن اعثر على الماس ولكننى الان ادركت انى اخطأت فى استنتاجى ان الجاكتة هى جاكتة بريجو الاصلية أما الشيء الذى ابدله فهو البنطلون .. ان بريجو انما يرتدى بنطلون فرانك هومر القتيل .. لأن الماس مخاط فى البنطلون .

فاغرقت باتريشيا فى الضحك وقالت :

— يا لك من داهية .. ولكن هل فكرت فى المفتش تيل ؟

ومشى لوبين الى الجدار ففتح فيه خزانة سرية لا تراها العين واخرج منها مفكرة صغيرة تحتوى على بيانات تفصيلية عن مجرى لندن واصحاب النوادى الليلية الذين لا يقلون منهم اجراما وقال :

— انك تعلمين يا باتريشيا ان هذا الكتاب يتضمن معلومات قيمة عن المجرمين واللصوص .. وهذه المعلومات هى التى كنت استعين بها فى اقتناصهم والوقوف على اسرارهم .. ولو ان هذا الكتاب وقع فى أيدى احد رجال البوليس لاستطاع ان يقبض على اكثر مجرمى لندن . وانى اريد ان اعرض المفتش تيل عما فعلت به ولذلك سأهديه هذا الكتاب لأجعل منه رجلا عظيما .. سأمكنه من ان يقبض على من يشاء من كبار القتلة والمجرمين . وسأهديه ايضا هذا البيت ذا المخابىء السرية لانى لن أعود فى حاجة اليه .

فبانت الدهشة على وجه الفتاة وقالت :

— ولكن كيف تتخلى عن هذا الكتاب النفيس ؟

فضحك لوبين وقال :

ـ ألست انا مؤلفه .. فهل أعجز عن تأليف كتاب آخر ؟ وفضلا عن ذلك فان فى نيتى أن أغادر انجلترا عاما أو عامين .. ان وجه المفتش تيل أصبح لا يعجبنى وأريد وجوها جديدة .

ثم تناول قبعته وهو يقول :

ـ والان هيا بنا لكى نلحق ببريجو على ظهر الباخرة .

الفصل التاسع

كان القطار ينهب الأرض نهبا الى الميناء وقد جلس لوبين وباتريشيا هولم فى احد صالوناته .

وكان لوبين يبدو ضيق الصدر مهتاج الخلق على خلاف عادته وكأنما كان يريد أن يشفى غليله بطريقة ما فجعل يتهكم على خادم القطار ويمازحه كلما مر به فى ذهابه أو قدومه ..

واخذ لوبين يدخن فى شراهة وكلما أوشكت سيجارته أن تفرغ أشعل سواها وهو صامت لا يتكلم وقد استغرق فى التفكير .

وعلى حين بغتة اخرج قلما وجعل يكتب شيئا على قائمة المشروبات التى تقدم فى القطار .

وتركته باتريشيا واخذت تتجول فى ممشي القطار .. فلما رجعت اليه بعد بضع دقائق رفع لوبين نظره اليها وقال وهو يبتسم :

ـ لقد نظمت الان قصيدة بديعة .

ولوح بقائمة المشروبات أمام عينيها .

فضحكت باتريشيا وقالت :

ـ وفيم نظمت اليوم ؟

ـ فى بريجو طبعا . فى بنطلونه المقدس .. هل يمكنك أن تتصورى يا باتريشيا بنطلونا لا يقل ثمنه عن مائة الف جنيه ؟ هذا هو بنطلون بريجو العظيم .

ـ انه اذن بنطلون يستحق أن يخلد بقصيدة من الشعر .

ـ وهذا هو ما فعلته بالضبط .

وسكت لوبين برهة ثم استطرد قائلا :

ـ قد يخلع الانسان جاكتته امام ملأ من الناس فلا يكون فى ذلك ما يخدش الفضيلة أو الاداب العامة . اما أن يخلع الانسان بنطلونه فيعد بلا شك انتهاكا لحرمة الآداب .. ولكن هذا ما انوى ان افعله .. سأجعل بريجو يخلع بنطلونه ولو امام الدنيا بأسرها .

فضحكت باتريشيا وقالت :

ـ بهذه المناسبة اقول لك انى فتشت القطار فلم اجد لبريجو أثرا .

فنظر لوبين فى وجهها وابتسم قائلا :

ـ بل انه موجود فى القطار أيتها العزيزة .. لقد رأيته عندما صعدت الى القطار فى ووترلو . وأظنه رآنى أيضا .

فبدت أمارات الدهشة فى عينى الفتاة وقالت :

ـ ولكننى فتشت جميع المركبات فلم أجده .

ـ وهل أخذت بصمات جميع الركاب ؟

ـ ولكن رجلا فى حجم بريجو وجرمه لا يجد التنكر من الأمور الهينة .

فابتسم لوبين وقال :

– ان للتنكر يا صديقتى العزيزة أساليب لا حصر لها .. فمن الناس من يتنكر بأن يضع على رأسه شعرا مستعارا ويلصق بذقنه لحية كاذبة .. وهذا هو التنكر الذى كنت تبحثين عنه .. انك تبحثين عن التغييرات الصغيرة وهذا لا يعتبر تنكرا فى رأى الفنانين العظام .. وبمناسبة الحديث عن الفنانين اذكر لك ان صديقا لى اراد ان يعرف كيف يعيش الفنانون فى حى شلزيا فوضع لنفسه لحية مستعارة ولف حول عنقه ربطة كبيرة الحجم ثم استأجر منزلا فى هذا الحى وهناك قضى شهورا وجيرانه يعتقدون انه فنان مثلهم ولكنهم ضبطوه يوما متلبسا بصرف ورقة مالية من فئة العشرة جنيهات فادركوا على الفور انه فنـــان مزيف لأن الفنانين الحقيقيين لا يعرفون الا البنسات .. اما الاغنياء منهم فقد يعرفون الشلنات .. والآن دعينى أتل عليـــك القصيدة التى نظمتها فى بريجو وبنطلون بريجو .

فتنهدت باتريشيا فى يأس وقالت :

– دعنى الآن من قصيدتك واذكر لى أين عثرت على بريجو واية صورة من صور التنكر اتخذها لنفسه ؟

فقال لها لوبين باسما :

– خفضي من صوتك ايتها العزيزة والا سمعك وانت تتكلمين ..

فقطبت الفتاة جبينها وقالت :

– وكيف يسمعنى وهو ليس معنا فى هذا الصالون ؟

– ولكنه فى الصالون المجاور .

وحملقت فيه الفتاة مذهولة وقالت :

– الصالون المجاور ؟!

– نعم ..

– وما هو التنكر الذى اتخذه لنفسه ؟

فابتسم لوبين وأشعل سيجارته وهو يقول :

– لقد اختار لتنكره ابسط صورة من صور التنكر .. اختار تنكرا ساذجا يتفق وعقليته البسيطة .. لقد طلى وجهه باللون الأسود محاكيا وجوه الزنوج .

فابتسمت باتريشيا وقالت :

– يا له من داهية .! لقد تأملت وجوه جميع الركاب فلم أتعرف عليه مطلقا .

فقال لوبين مقاطعـــا :

– هذا لأنك كنت تبحثين عن اللحية المستعارة ولكنك لم تبحثي مطلقا عن طلاء أسود يطلى به الوجه .

– ولكن كيف عرفته انت ؟

– يجب ان اعترف اولا انه أجاد التنـــكر .. ولكننى اكتشفت أمره على الرغم من ذلك .. هل رأيت فى حياتك زنجيا ذا عينين زرقاوين ؟ قد يكون فى الدنيا زنوج لهم عيون زرق ولكننى لم أر احدا منهم ولا أظننى سأرى احدا منهم . .وكانت هذه هى الغلطة الوحيدة فى تنكر بريجو.. لقد نظرت الى وجهه فلتت العينان نظرى فعرفت على الفور ان هذا الزنجى هو بريجو متنكرا !!

فهزت باتريشيا رأسها وقالت فى لهجـــة تنطوى على اليـــأس :

– وكيف غابت عنى هذه الملاحظة ؟

فقال لوبين فى لهجة تدل على التواضع :

— يجب أن يكون لك ذكاء ارسين لوبين !

— انه اذن ذلك الزنجى الجالس فى الصالون المجاور .. ولكن الصالون مزدحم بالركاب فكيف ..

فقاطعها لوبين بقوله :

— كيف سأتمكن من ان اجعله يخلع بنطلونه امام هؤلاء الركاب ؟ اليس هذا هو ما تريدين أن تسألينى عنه ؟ الواقع ان هذه المشكلة لذيذة جدا .. هذا رجل جالس وسط نفر من المسافرين .. فما هى الطريقة التى أتمكن بها من سرقة بنطلونه .. قد يكون من السهل أن أنشل ساعته أو أنشل محفظته اما نشل البنطلون فمن الأمور المستحيلة طبعـــا ولـــكن ...

وفى تلك اللحظة جاء مفتش القطار ليفحص التـذاكر وجوازات السفر فكف لوبين عن متابعة حديثه

ولمـا انصرف المفتش التفت لوبين الى باتريشيا وقال :

— لقد كنت أحدثك عن الطريقة التى ساسرق بها بنطلون بريجو انها طريقة سهلة للغاية فان أرسين لوبين لا يمكن ان يقف مكتوف اليدين امام هذه المشكلة التافهة .

— ولكن ما هى خطتك التى تنوى اتباعها ؟

فنهض لوبين واقفا وهو يقول :

— تعالى معى لكى أريك خطتى .

وخرج من الصالون مسرعا .

وحقت به باتريشيا هولم وهى تتابعه بنظرات ملؤها الافتتان .

كانت باتريشيا تحب فيه هذه المغامرة الجريئة .. وهذه

الرغبة في النضال هذا التحدى لكل ما فى العالم من قوانين وتقاليـــــد .

لو ان لوبين كان رجلا شريفا لكان محتملا جدا أن لا تحبه باتريشيا فهى لا تحب فيه الهدوء والاستكانة والضعف .. وانما تحب فيه جرأته وثباته الجبارة ..

وفى هذه اللحظة كان لوبين يبدو خير مثال لشخصيته الجذابة القوية . كان يتحفز للنضال المصـــحوب بالتهكم والسخرية !

وكان لوبين واقفا فى ممشي القطار فوقفت باتريشيا خلفه وهمست فى اذنه تقول :

— ولكن ما الذى تنوى ان تفعله الان ؟

انوى ان اسلى نفسي .. وفضلا عن ذلك فانى ساقوم بعمل يقضي على الواجب القيام به بصفتى رسول الانسانية فى هذا العالم .. ان رسالتى فى هذه الدنيا ان اعـــين الفقراء وامد اليهم يد المساعدة ..

ولقد كنت طول عمرى مساعدا للفقراء من البيض .. اما اليوم فساساعد الزنوج الفقراء !

فهزت باتريشيا راسها دلالة على عدم الفهـم فاستطرد لوبين قائلا :

— اننى مندوب جمعية « تقديم الكســـاوى » للزنوج الفقراء وضرورى ، تقديم الكساوى لهم وكيف أن جمعيتنا استطاعت فى العام الماضي أن تقدم الى هؤلاء الفقراء الفى جاكتة وثلاثة آلاف بنطلون وســـاطلب الى الحاضرين أن يتبرعوا بما يشاءون من الجاكتات والبنطلونات .. ويمكنك أنت ان تتقدمى الى ريجو وتحيثه على المساهمة فى هـــذا العمل الخيرى العظيم وبصفته زنجيا يجب أن يكون أول من

يتنازل عن بنطلونه طبعا .. فاذا رفض فسأقوم انا بالباقى وارغمه على خلع البنطلون .

فابتسمت باتريشيا وقالت :

ـ وقبل أن ترغمه على ذلك سيكون قد شد جرس الخطر

ـ وهل نسيت مسدسي ؟

فقالت باتريشيا فى حماسة : اذن هيا بنا

وفتح لوبين باب الصالون المجاور !

ووقف وبين شفتيه سيجارته

ولكنه حين نظر الى داخل الصالون وقف مصعوقا فانتزع السيجارة من بين شفتيه ورماها وداسها بقدمه بشدة .

فقد كان بريجو غير موجود فى الصالون !

ولم يكن هناك اى شك فى ذلك .. كان الركن الذى كان بريجو جالسا فيه خاليا لا يشغله مخلوق !

اما المقاعد المجاورة فلم يكن يشغلها الا اصحابها الذين راهم لوبين من قبل .

كانت هناك امراة عجوز انتشرت فى وجهها التجاعيد ولكنها مع ذلك كانت حريصة على أن تطلى شفتيها بالطلاء الاحمر !..

وكانت هناك امراة ضخمة الجسم طويلة القامة كأنها وحش ضار لم يذق طعامه منذ بضعة اسابيع .

وكانت هناك امراة ضخمة الجسم طويلة القامة كأنها مارد عملاق وبين يديها كتاب عنوانه « كيف تكونين رشيقة »

وليس معقولا أن يكون بريجو قد تقمص احد هؤلاء الأشخاص ..

وراى لوبين ان يلقى محاضراته على الرغم من عدم وجود بريجو . فاخذ يخطب الحاضرين فى ضرورة مساعدة البيض للسود وعرج من ذلك الى وصف ما يعانيه الزنوج

من الفقر المدقع وكيف انهم يعتبرون من يرتدى بدلة ملكا عظيما او من كبار الأغنياء . وطلب الى الحاضرين أن يتبرعوا بما لديهم من سترات قديمة .

والكن لوبين بطبيعة الحال لم يحاول ان يرغم احدا منهم على خلع بنطلونه لأنه لم يكن ينشد الا بنطلون بريجو .. وهذا لم يكن موجودا .

وقالت باتريشيا هامسة في اذنه :

ـ لعله ذهب يغتسل ؟

فضحك لوبين وقال :

ـ يغتسل ! انه لا يمكن ان يغتسل الا اذا كان يريد أن يزيل تنكره واظن ان الجنون لم يبلغ به الى هذا الحد بعد

ثم ارسل بصره الى رف المركبة واسترسل قائلا :

ـ واذا كان قد ذهب يغتسل فلماذا اخذ معه حقيبته ؟ انك بطبيعة الحال لم تلاحظى أن معه حقيبة جديدة اشتراها فى هذا الصباح لأنه اضطر أن يترك حقيبته وحوائجه فى بيت البرمان ولم يجرؤ بطبيعة الحال على أن يذهب لاستردادها خشية أن يقع بين أيدى رجال البوليس وقد اختفت الحقيبة كما اختفى صاحبها .

واقبل مفتش القطار فى هذه اللحظة واطل من الباب وهو يقول :

ـ مس ديزى ان اوراقك جاهزة لا ينقصها شيء .

واعاد اليها جواز السفر ..

وكانت الفتاة المسماة مس ديزى هى تلك المراة العملاقة ذات الجسم الماردى .

ـ تصورى يا باتريشيا أن هذه المراة العملاقة تسمى مس ديزى باسم تلك الزهرة الرشيقة الوديعة !

ثم جذبها من يدها وخرج الى ممشي القطار .

وقالت باتريشيا تخاطب لوبين :
ـ لا بد انه لا يزال موجودا في القطار فانه لا يستطيع
يخاطر بالوثوب منه والا دقت عنقه .
فقال لوبين مجيبا :
ـ هذا صحيح ولا اظن ان بريجو يخاطر بعنقه مطلقا . .
نفتش عنه القطار وسنعثر عليه ولو اضطررنا الى ان نقلب
دنيا راسا على عقب . . ولكن يحسن بنا أن نتعاون فى
بحث عنه . . فابحثى انت فى هذه الناحية وسأتولى انا
تفتيش عنه في الناحية الأخرى، ومن المحتمل انه اتخذ
فسه زيا جديدا من أزياء التنكر فاذا لقيت فى طريقك رجلا
تحيا فلا ترددى فى جذب لحيته بشدة حتى تتأكدى من
ه ليس بريجو .
وانطلقت باتريشيا الى الناحية اليسرى بينما ذهب لوبين
ى الناحية اليمنى وطاف لوبين بجميع المركبات وهو يتصفح
وجوه ولا يدع شخصا الا تفرسه وتأمله باهتمام .
وبعد عشر دقائق وصل الى نهاية المشي ووقف يطل من
نافذة مفكرا فى حل هذا اللغز . .
ان بريجو فى القطار . . ولكن . . من المؤكد انه ليس
وجودا بين هذه الجماعات المتراصة التى فحصها لوبين
حصا دقيقا . .
وبينما كان لوبين واقفا بالنافذة يفكر راى هذا المشهد
ريب . .
لم يلفت نظره اول ظاهرة تراءت له من ظواهر هذا المشهد
لقد راى قطعة من القماش الأبيض تمر في الهواء امام
نافذة . وتابعها بعينه دون اهتمام ثم اخذ يتأمل المناظر
بيعية الجميلة التى امامه .
وبعد ذلك راى ثلاث قطع بيضاء اللون تمرق أمام عينيه

.. ثم راى قطعة حمراء تطير فى الهواء وتستقر على اسلاك التليفون .

وقطب لوبين جبينه وجعل يرقب هذا المنظر الغريب .

واخذت قطع الأقمشة تتوالى أمام عينيه بسرعة عجيبة فهذه حمراء وهذه صفراء وهذه بيضاء .. الخ .. كأنها قوس قزح ..

وكانت هذه الأقمشة المختلفة تسبح فى الهواء ثم تستقر على اسلاك التليفون والتلغراف الممتدة على جانب الطريق .

وعلى حين فجاة ومض ذهن لوبين بفكرة نيرة فعرف سر هـــذا المنظر ..

ودار لوبين على عقبيه ودنا من الباب المجاور .

وادار لوبين مقبض الباب فلم ينفتح لانه كان موصدا من الداخل ..

ودفع لوبين الباب بكتفه فانفتح على مصراعيه . ولم يكد يدخل حتى عرف ان استنتاجه كان على حق حين فسر هذا المنظر الغريب بالطريقة التى فسره بها ..

وبعد خمس دقائق خرج لوبين من هذه المقصورة وعلى شفتيه ابتسامة تدل على الرضا والارتياح .

وفى طريقه الى الصالون الخاص به مر بالصالون الذى كان بريجو جالسا فيه وهو متنكر في صورة زنجي . وفتح الباب واطل منه براسه وقال يخاطب المراة العملاقة

ـ مس ديزى .

فرفعت المراة راسها ونظرت اليه متسائلة فقال لها :

ـ هل حقيبتك مؤمن عليها ؟

فاجابته المراة بقولها : طبعا ولكن لماذا تسال ؟

فقال ارسين لوبين مجيبا :

ـ بمجرد وصولك الى الميناء طالبى الشركة بقيمة التعويض

فحملقت فيه المراة متعجبة وقالت :

ـ ماذا تقصد ؟ ماذا حدث ؟ هل انت احد موظفى الشركة؟

فقال لوبين مجيبا :

ـ انني الزنجي الذى ينظف المركبات . وقميص نومك الأحمر لا يعجبنى .

ثم اوصد الباب فى هدوء وانصرف تاركا وراءه المراة العملاقة وهى تصخب وتلعن وقد ساءها ان يتجرا هذا الوقح فيزعم ان قميصها الأحمر لم يعجبه . كما كانت تستغرب كيف عرف ان لها قميصا احمر اللون !

ووجد لوبين فتاته باتريشيا جالسة فى انتظاره فلما رأته قالت تسأله :

ـ هل عثرت على بريجو ؟

فلم يجبها على سؤالها وانما قال يسالها بدوره :

ـ وماذا فعلت انت ؟

فقالت الفتاة فى شيء من الحنق :

ـ لم افعل شيئا .. لقد فتشت القطار اربع مرات فلم اعثر له على أثر ..

واخرج لوبين القلم من جيبه وقال :

— لقد هبط على شيطان الشعر مرة أخرى ولذلك سأنظم قصيدة أخرى .

— ما موضوعها ؟

—موضوعها انحطاط الأخلاق في هذا العصر وكيف ان رجلا وقحا خلع بنطلونه ووقف بهذا الشكل وهو شبه عار أمام امرأة عذراء .. صدقيني يا عزيزتي ان الاخلاق قد ساءت في هذه الأيام الى حد لا يرجى معه للدنيا خير .. لقد ماتت الفضيلة .. وهذا هو موضوع القصيدة التي سأنظمها الان ..

فابتسمت باتريشيا وقالت :

— هل جننت يا لوبين ؟

— فابتسم لوبين وقال :

— واسأل الله ان يتم نعمته على بأن يبقيني مجنونا طول العمر ..

— ولكن ما دمت لم تجد بريجو فانك ...

فقاطعها لوبين بقوله : ومن انباك بأنني لم اجده ؟

فحملقت فيه الفتاة مذهولة وقالت :

— هل وجدته ؟

— طبعـــا ! .

ونظرت الفتاة الى عينيه فوجدتهما ضاحكتين فقالت له :

— حدثني كيف وجدته ؟

واشعل لوبين سيجارته وقال :

— كنت واقفا في نهاية الممشي اطل من النافذة حين رايت قطعا من القماش تمرق في الهواء أمام عيني فاستغربت الامر ولكنني ما لبثت ان أدركت السر .. لقد دخل بريجو الى عربة الحقائب وفتح احدى الحقائب الكبيرة وأفرغها مما فيها من الثياب لكى يختبىء في داخلها وجعل يقذف بهذه الثياب من

النافذة فكانت هي التي رايتها تمرق أمام عيني ،

ونفث لوبين دخان سيجارته وقال :

— ودخلت على بريجو وهو منهمك في هذه العملية وارغمته على ان يخلع بنطلونه واستوليت على الماس المخبأ في بطانة البنطلون .. ثم حبسته داخل الحقيبة وهو شبه عار بهذا الشكل !

فقالت باتريشيا تسأله :

— ولكن حقيبة من ياترى ؟

— انها حقيبة العملاقة مسز ديزى . وقـــد حاولت ان اخبرها بما حدث وان انبهها الى ضرورة المطالبة بقيمة التأمين ولكنها لم تشأ أن تفهمني وغضبت لانني قلت لها ان قميص نومها الأحمر لا يعجبني .

وضحكت باتريشيا هولم واسترسل لوبين قائلا :

— والخلاصة ان بريجو الان محبـوس في الحقيبة .. واننى نزعت عن الحقيبة البطاقات التي تحمل اسـم مس ديزى ووضعت بدلا منها بطاقات تحمل اسم وليل تيل لان « البضاعة » التي في داخل الحقيبة وهي بريجو تخص تيل ولا تخص مس ديزى وسنرى الان مشهدا لطيفا حين تنقض مس ديزى العملاقة على المفتش تيل المسكين وتفترسه متهمة اياه بانه سرق حقيبتها ووضع عليها بطاقة تحمل اسمه .. ويمكنك ان تتصورى يا عزيزتي ، طرافة هذا المشهد وكيف يرمى تيل باللصوصية وهو كبير مفتشي البوليس .. فنظرت باتريشيا في عينيه وقالت :

— ان اعجابى بك يزداد كلما رأيتك تنصب لتيل مثل هذه المكائد الظريفـــة فكان جواب لوبين ان قال : وسيتضاعف اعجابك لأن مكائدى لم تفرغ .

الفصـــل العاشر

كانت الساعة تدق الواحدة بعد الظهر حينما نزل المفتش تيل من سيارة البوليس امام رصيف الميناء .

ولم يكن تيل قد جاء الى هذا المكان بوحي من نفسه وانما بناء على الاعترافات التى ادلى بها اليهودى ايزادور البرمان. كان تيل يعلم ان اليهودى يعرف الشيء الكثير عن بريجو وانه هو الذى دبر له طريق القدوم . فلا شك اذن انه يعــرف المكان الذى يختبيء فيه فقرر ان يرغمه على الاعتراف بمـا يعلم وما زال به حتى اطلق لسانه بالكلام .

وكان البرمان معذورا اذا تكلم فان للمفتش تيل وسائل لا تقاوم يستل بها الاعترافات من اصلب المجرمين واشدهم مراسا . فيكفى أن يجعل المجرم يقضي فى الزنزانة ليلة او ليلتين لا يذوق فيها النوم جفنيه فاذا هو فى الصباح وقد امضي البرمان ليلته مستيقظا فاضـــطر الى الاعتراف فى الصباح .

ولم يكن هو وحده الذى ظل طول الليل مستيقظا . بل شاركه المفتش تيل اذ ان حديثه الأخير مع ارسين لوبين نفى النوم عن عينيه .

لقد دبر له مكيدة تجعله متهما بالرشـوة فظل ارقا وهو يرقب طلوع النهار حتى يبادره من فوره الى البنك ليقطع الشك باليقين وليعرف اذا كان لوبين حقا قد نصب له هذا الفخ او انه ساق له هذا الحديث على سبيل التضليـل والخـــداع ..

ولم يكد البنك يفتح أبوابه حتى كان المفتش تيـــل أول الداخلين اليه .

وطلب الاطلاع فورا على حسابه الجارى فوجد ان رصيده

يزيد حقيقة اكثر من الف جنيه عن الرصيد الذى كان يجب ان يكون .

وغادر تيل البنك وذهب مسرعا الى بيت أرسين لوبين . فلما دق الباب لم يجبه احد . ولكن البوليس السرى الذى كان تيل قد أرصده عند الباب انباه بان لوبين والفتاة خرجا فى الساعة التاسعة ولم يعودا .

وعندما رجع تيل الى مكتبه فى سكوتلانديارد وجد فى انتظاره اعترافات ايزادور البرمان .

لقد اقر اليهودى بكل شيء وذكر ما كان من أمر اعداده لجواز السفر وحجزه مكانا لبريجو على ظهر الباخرة «رنجا»

فأسرع تيل من فوره الى ميناء سوثمبتون فوصل اليها قبل اقلاع الباخرة .

وكان لوبين يتوقع ان يدلى البرمان باعترافاته اذا كان لا يجهل مهارة تيل فى انتزاع الاعترافات .

ولذلك جلس لوبين على ظهر الباخرة ينتظر قدوم المفتش تيـــل .

كان ارسين لوبين جالسا على حافة حقيبة كبيرة وسيجارته بين شفتيه وامامه اثنان من خدم الباخرة واحد الحمالين ومس ديزى الفتاة العملاقة . وحول هؤلاء قد اجتمع نفر من الركاب ينظرون الى ما يجرى متفرجين .

وكان ارسين لوبين يقول مخاطبا المراة العملاقة التى كانت تبدو شديدة الانفعال :

ـ انى اشاطرك رايك فى ان هذا اعتـداء صارخا على القانون وحقوق الملكية .. ولكننى لا الام على ما حدث بلى الملوم هو بريجو وحده فان قميص نومك الاحمر لم يعجبه ولذلك رماه من النافذة .. وانا ايضا متفق مع بريجو في ان القميص قبيح الشكل .. والذى يستنتج مما حدث ان

بريجو لم يكد يرى ثيابك حتى هاجت أعصابه فرماها من النافذة .. ولكننى لست ملوما كما قلت لك .. لست بطبيعة الحال سجانا حتى أراقب حركات بريجو فاننى ..

ـ انك كاذب .. انى لا أصدقك .. هل تعرف من انت ؟ انك لص نعم .. انك لص بالخط العريض .. انى أستطيع ان اميز حقيبتى حيث اراها .. انى استطيع ان اصف كل شيء فيها وصفا دقيقا ..

فقاطعها لوبين بصوته الهادىء الواثق :

ـ انى أراهنك على انك لا تستطيعين ان تصفى ما فيها !

فتحولت السيدة العملاقة الى الحاضرين وقالت مستنجدة بهم :

ـ هذا لا يطاق .. هذا لا يحتمل .. هذا الرجل هو اجرا لص عرفته فى حياتى .. لقدسرق ثيابى ووضع على حقيبتى البطاقة الخاصة به .. اننى ..

ولكن لوبين عاد يقاطعها فى لهجة تدل على التهذيب :

ـ سيدتى .. انى لا انازعك مطلقا فى أن هذه هى حقيبتك .. هذا أمر لا يحتمل الجدل .. ولكن الذى اقر به هو ان البطاقات التى توضع على الحقائب انما تدل على المكان التى ترسل اليه المحتويات .. نعم ان الحقيبة ملك لك .. اما محتوياتها ...

ولم تطق العملاقة صبرا على هذا التحدى الجســـور فصاحت فى لهجة عصبية :

ـ أين القبطان .. أين القبطان . ؟

وفى هذه اللحظة بالذات كان المفتش تيل قد صعد الى ظهر السفينة ورأى هذا الجمع المحتشد فدنا منه مستطلعا الخبـــر .

ورأى لوبين جالسا على حافة الحقيبة فلبث مكانه برهة ينظر اليه .

ورآه لوبين ايضا .. ورأى تحت عينيه خطوطا زرقاء عرف فيها ان المفتش المسكين لم ينم طول ليلته وانه ظل يفكر في تلك الرشوة التى اضافها لوبين الى حسابه بالبنك كرها عنه وعلى غير علم منه .

ولكن عينيه كانتا قاسيتين شديدتى النظرات ... لقد جاء حانقا ساخطا .

وكان لوبين يحب منه هذا الحنق لأنه الكفيل بأن يجعل تيل طعما سهلا للسخرية والتهكم .

وشق تيل لنفسه طريقا بين الجمع الحاشد وقال يخاطب لوبـــين ..

ـ لقد كنت اتوقع ان اجدك هنا ..

ولم تكد المراة العملاقة تسمع ذلك حتى دارت على عقبيها والتفتت اليه قائلة : اتعرف هذا الرجل ؟.

فقال تيل فى اقتضاب وخشونة :

ـ نعم انى اعرفه ..

ووضع لوبين ساقا فوق ساق واخرج من علبته سيجارة اشعلها واوما الى البوليس السرى باصبعه وهو يقول فى لهجة دراماتيكية اشبه بلهجـــة الدلالين فى المزادات وهم يعرضون سلعهم على الجمهور :

ـ سيداتى وسادتى .. اسمحوا لى ان اقدم اليكم الرحالة العظيم مستر وليام تيل الذى سيحدثكم الان عن نتـــائج رحلته الى وعلى اى حال وجد رصيد حســـابه .. ولكن اسمحوا لى ان اقوم بواجب التعارف .. مستر تيل .. مس ديزى . .مستر ..

ولكن المراة العملاقة لم تكد تسمع اسم تيل حتى اجفلت

كأنما مسها سلك كهربائي وصاحت بصوت مرتفع :

ـ تيل .. ؟ هل أنت تيل ..؟

فقال المفتش فى شيء من الذهول والاستغراب نعم .. هذا هو اسمى ..

ـ اذا كان اسمه لا يعجبك فيمكننا ان نسميه مستر ديزى

ولم تعره المرأة اى التفات وانما استرلت مخاطبة المفتش تيـــــل :

ـ وهل تعترف بذلك .. هل تعترف بأن هذا هو اسمك ؟

ـ طبعا هذا هو اسمى ..

فتراجعت المرأة الى الوراء وصاحت قائلة :

ـ ماذا حل بالدنيا .. ؟ هل جن الخلق أجمعون .. ؟ لقد سرقت فى رابعة النهار وعلى ملأ من الناس .. ومع ذلك يأتى هذا الرجل (واشارت الى تيل) ويعترف علانية بانه شريك اللص ..

فحملق فيها تيل مذهولا وقال :

ـ أنا شريك اللص .. انني ضابط بوليس يا سيدتى .

فصرخت المرأة فى وجهه :

ـ ضابط بوليس .. انك كاذب .. انك لص .

ـ يا سيدتى انني ..

ولكن المرأة عادت تصرخ قائلة :

ـ لا تقاطعنى .. كيف تجرؤ على الكلام .. انك لص .. نعم أنت لص .. سارق .. انك قاطع طريق .. انك ..

فأخذ تيل يغص بريقه فم حيرة وارتباك وقال :

ـ ولكن يا سيدتى ..

ـ اياك ان تتكلم .. انني أريد حقيبتى .. يجب ان آخذ حقيبتى .. هذه هى حقيبتى .. فقال فى بساطة وهدوء :

ـ مستر تيل .. يحسن بك ان تستقيم ولو مرة واحدة فى العمر .

هيا طلق اللصوصية واعد الى هذه السيدة حقيبتها . لقد نصحت لك مرارا بأن تكون رجلا شريفا . فصاح تيل فى حنق:

ـ اصمت أنت .

فهز لوبين راسه فى يأس وقنوط وقال يخاطب مس ديزى

ـ هاانت ترين يا سيدتى انى نصحته فلم ينتصح .. انه يريد ان يظل طول عمره لصـــــا .. ايه .. هكذا مشيئة الأقدار ..

ـ فتحولت مس ديزى الى الجمع الحاشد وصاحت قائلة :

ـ اليس فيكم من يخف الى نجدتى ؟

ونحى لوبين السيجارة عن فمه ونهض واقفا واضعا احدى قدميه على الحقيبة وقال فى لهجة تدل على الشهامة :

ـ انى انا الذى ساخف الى نجدتك يا سيدتى .

فصاحت مس ديزى :

ـ ولكنى أريد من ينجدنى منك أنت .

واسترسل لوبين يقول دون ان يعبأ باعتراض :

ـ هل تسمحون لى بأن أفسر ما حدث ؟

فصاحت المرأة العملاقة فى لهجة عصبية :

ـ هل تنوون أن تصغوا الى هذيان هذا الـ .. هذا الـ ..

ولما راى لوبين أن الكلمات لا تسعفها قال متمما :

ـ هذا السيد المحترم ..

فصاحت المرأة : بل اللص الجرىء .

ورفع المفتش تيل عقيرته وقال فى لهجة صارمة :

ـ انني مفتش بوليس و... ولكن لوبين قاطعه بقوله :

ـ ان مستر تيل شديد التواضع .. انه ليس مفتشـــا

فحسب ولكنه كبـــير مفتشي البــوليس السرى بادارة سكتلانديارد .
واستطرد تيل قائلا : انني اريد أن أسمع ايضاحاته !
وقد نطق هذه الجملة بلهجة صارمة لم تجعل لمس ديزى جراة على الاعتراض فلزمت الصمت وقد تزعزع اعتقادها بان تيل شريك لسارق الحقيبة .
ونظر تيل الى لوبين وقال تكلم فانى مصغ اليك .
وتكلم لوبين فقال :
— لقد وصلت يا مستر تيل في الوقت المناسب لكى تكون حكما في سوء تفاهم شجر بيني وبين هذه السيدة .. ولكن دعنى اولا اضع الحقائق تحت نظرك .. لقد ركبت القطار من ووترلو لاتمكن من مراقبة صديق لنا يهمنا أمره ولنسمه برتى .. وفي خلال الراحة اختفى برتى عن نظرى ولم ادر اين اختبأ فأخذت ابحث عنه في كل مكان في القطار الى ان عثرت عليه فيمركبة الحقائب وقد فتح حقيبة مس ديزى .. الضخمة .. اقصد ان الحقيبة هى الضخمة وليست مس ديزى .. اقول اننى اهتديت اليه وقد فتح الحقيبة واخـذ يقذف بثياب مس ديزى من النافذة .
فصاحت مس ديزى معترضة : انك كاذب .. انك انت الذى سرقت ثيابى .. فضــلا عن دخـولك على المركبة واهانتى ..
— هذه مسالة اخرى سنعرض لها فيما بعد . قلت ان برتى رمى ثياب مس ديزى من النافذة وهم بالدخـول الى الحقيبة والاختباء في داخلها . وبطبيعة الحال ساعدته على تحقيق غرضه فدفعته الى الداخل واغلقت الحقيبة عليـه بالمفتاح . وفي الوقت ذاته رفعت عن الحقيبة البطاقة التى تحمل اسم مس ديزى ووضعت مكانها بطاقة تحمل اسمك

انت يا مستر تيل لاننى أعلم ان محتويات الحقيبة تهمك انت ولا تهم مس ديزى . وقد أردت أن أشرح لها ما حدث وان انبهها الىضرورة المطالبة بقيمة التأمين ولكنها لم تدرك قصدى وظنتنى ابغى اهانتها وبينما كنت انتظر قدومك ثار بينى وبينها هذا الخلاف فيما يتعلق بملكية الحقيبة .. والواقع اننى لا أنكر ان الحقيبة تخص مس ديزى ولكن الذى أنكره هو أن برتى يخصها أيضا .
فحملقت فيه مس ديزى وقالت في استنكار :
— هل تريد أن تقول ان في حقيبتى رجلا ؟
— بالضبط .. هــذا هو ما أردت أن اقول .. ان في حقيبتك رجـلا فهل تريدينه ؟ لمســتر تيل الحق الأول فيه طبعا ولكننى لا امانع في اعطائه لك اذا اعجبـك . ان البضاعة في حالة جيدة سليمة ولا عيب فيها الا عين متورمة وفك مكسور من تأثير لكماتى .. ولكنى اتعهد بتخفيض الثمن اذا .
وانبرى المفتش يقول مقاطعا :
— انى اريد ان أتحدث اليك على انفراد .
فقال لوبين في ايجاز . بكل ارتياح .
ومشي خلف المفتش تيل الى ركن السفينة بعيد عن آذان الحاضرين .
وجعل تيل ينظر الى لوبين برهة وهو صامت ثم استهل الحديث يقول : هل بريجو المحبوس في الحقيبـــة ؟ — هو بعينــه .
— لقد اعترف اليهودى البرمان بكل شيء .. فهل تعرف العقوبة التى يحكم بها على تكون في حوزته ماسات مهربة ؟
فقال لوبين مصححا : بل اعرف العقوبة التى يحكم بها على من « يضبط » وفي حوزته ماسات مهربة .

ثم اولاه ظهره وانصرف وعلى شفتيه ابتسامته التهكمية. ومن عينيه تتبعه نظرات لها وقع احد من السيف .

وجعل تيل يتابعه بعينيه دون ان يعترض بكلمة واحدة وكانت باتريشيا هولم تنتظره عند سلم السفينة فاخذ بيدها ودخلا معا الى قاعة الاستقبال .

وجلست باتريشيا امامه وجعلت تتأمله .

وكانت عيناه متألقتين يشع منهما بريق غريب .. وكانت على فمه ابتسامة التحدى والنضال .. وكان كل ما فيـــه يوحى بانه أرسين لوبين ذلك الجرىء الجسور الذى يتحدى العالم باسره دون أن يبالى .

وكانت باتريشيا مولعة به غراما . ولكنها في هذه اللحظة كانت تشعر بأن حبها له خليق بأن يتضاعف .

وهتفت به في صوت متهدج :

ـ لوبين .. انى اشعر الآن بأنى اسعد النساء .. اليست الحياة جميلة .. هذه المغامرات .. وهـــذا النضال .. وهذه .. ترى هل تدوم مدى الحياة ستدوم .

وضحك لوبين فجاة . وكانت باتريشيا تنتظر منه تلك الضحكة التى اجتمع فيها شباب العالم ومرحه .

وقال لوبين باتى .. اهذا حقا هو ما تبغينه من الحياة ؟
ـ هذا هو ما ابغيه ..

ـ وسيكون لك ما تبتغين .. وسنظل مدى العمر تجوت الدنيا مغامرين مناضلين منازلين .. تقدم بلا تردد على كل عمل يراه الناس جنونيا .. نرقص ونغنى .. ونسرق ..

مغامرات

أرسين لوبين

الفخ الجهنمي

